خالد سليم عقيل

عِشْقُ الرُّوحِ

2023

مجموعة قصصية

زُقاقُ الكُتُب

رقم الإيداع	978-625-8279-51-1
اسم الكتاب	عشق الروح
اسم المؤلف	خالد سليم عقيل
الطبعة	الأولى - 2023م / 1444هـ
دار النشر	زقاق الكتب للنشر والتوزيع +90 553 915 40 09 facebook.com/zuqak Fatih - Istanbul - Turkey www.zuqak.com

Copyright © 2023

زقاق الكتب للنشر والتوزيع - إسطنبول - تركيا 2023

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

لا يجوز نسخ او استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أو الالكترونية أو الميكانيكية بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات أو استرجاعها - دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

التصميم والإخراج الفني:

BEAN Design & Creative Solutions

www.beanfordesign.com

عشق الروح

وقصص أخرى

خالد سليم عقيل

٢٠٢٣

زُقاقُ الكُتُب

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى تلكَ الروح التي غَشيتْ نَفسي

بعد أن كانتْ أو تكادُ يُصيبها السَقمْ

فأعادتِ الحياة إلى الغُصنِ اليابسِ

وبثتْ فيهِ الحياةَ منْ جديدْ

لتُثبتَ أن العشق لا يغادر النفس

إلا مع خروج الروح

مقدمة الأديبة إلهام حقي

بقلم خالد عقيل الكاتب الثوري، كتب بمنتهى العمق الثوري الذي عاشه منذ الصغر مع والده الذي اعتقل في الثمانينات، استطاع من خلال كتاباته إدخال تغير في نمط الحياة على شخصيات القصة منذ بدء الثورة، إن باشرت بقراءة ما كتب ستشدك الأحداث وتغوص كليًا وتتعاطف مع شخصيات القصة

وتتفاعل وتبكي في زمن جفت فيه الدموع، في كل القصص إيثار الطرف الآخر على النفس والتضحية من أجل الوطن، جميل أن نشاركه هذه الأحداث ونعود قليلاً للوراء، وجميل أنه خطا هذه الخطوات باتجاه التغيير، العلاقات التي سردها تلامس القلب وتشعرك باكتمال الحياة، ذكرتني مجموعته القصصية بكتابي الوحيد وعنوانه المرأة بين الحب والحرب.

قصته الأولى هدى وجلال كيف عشقها من صوتها، ولم يرها قط وختمها بمغادرة هدى نهائياً قائلة ستبقى أرواحنا تلتقي كل حين حتى تصعد الروح الى بارئها.

قصة (أخيراً قالتها) أبطالها ولاء وحامد، كيف عادا لبعض بعد خمسة وثلاثين عاماً بلفتة الخاتم الرائعة.

انتقل بخفة إلى أحداث الثورة مقتحماً أحداثها بقصص حب واقعية، أما أنا شخصياً شدتني قصة هيام التي ضحت من أجل حبيبها وكان الأجل لكليهما فجر الإثنين السادس من شباط زلزال القرن نقل جثمانه من تركيا للشمال السوري حيث جثمانها ليزفا في جنة الفردوس.

والخاتمة كانت مع شيماء الاسم الحركي لأمل لم تتخلى عنه وأسمت ابنتها به.

كان هناك سطوع ظاهر في الحب الطاهر للوطن والأشخاص مركزاً على الأمور الصغيرة الرائعة، إن قرأت ما كتب ستجد نفسك في بحيرة الحياة الهادئة بالرغم من قسوة ما يحصل من إجرام، عندما نتوقف عن النضال اتجاه بعضنا نخسر انسانيتنا، إن أردتم هزمنا اقتلونا أولاً.

مقدمة

معظمنا يعرف قصة الحب التي جمعت مي زيادة وجبران خليل جبران

تلك القصة العجيبة التي جمعت روحين لم يلتقيا قط

فقط عبر رسائل العشق التي عبرت المحيطات

وبضع صور تبادلها الحبيبان خلال عشرين عاماً

حدثت القصة قبل مئة عام

دعونا نعرف قصة مماثلة

جمعت عاشقين تبادلا كلمات الحب عبر الأثير

وكذلك صورهما مع أنهما يقطنان نفس المدينة

هو على أعتاب الستين يعيش حياة جافة ونفس قاحلة

وهيَ على أعتاب الأربعين تعيش حياة مضطربة مثقلة بالهموم

فهل يكسران قاعدة مي وجبران

وتلتقي الأجساد بعد لقاء الأرواح

أرواح العاشقين

إن ابتعدت أجسادنا فستبقى

أرواحنا تلتقي كل حين وسيبقى

هذا العشق حتى تصعد الروح

إلى بارئها

هدى

ماذا قالوا عن عشق الروح

نقشه على أوراق الزمن في قلوب قرائك... ولربما قصة عشق الروح أكبر دليل على نقش حروفك على النفس الإنسانية وسردها بأسلوب عصري متطور أقرب إلى حوار تشويقي يشد القارئ حتى نهاية القصة بتشويق يلامس الاحساس والمشاعر... وها أنا أترقب قصص تحاكي المعناه في العلاقات العاطفية وتطوير مفهوم الحب في ظل الظروف الحالية المعقدة نفسياً... بوركت خطاك في كتاباتك وإحساسك أخي الغالي خالد وفقك الله لما هو خير كتابياً وحياه.

محمد عقيل

كإحساسك بتضحية الوالدين

كرغبة الروح في الانطلاق والحرية

كعاشق ولهان التقى بمحبوبته بعد غياب

كحب صادق بعد مرور سنوات من العذاب، تكلل بزواج وحياة تملؤها السعادة

هكذا هي حروف هذا الكتاب تسللت إلى أعماقنا، لتشعرنا بصدق وقوة الكاتب

شكراً لك على هذه المصداقية

رنا المهندس

لا أدري ما يحصل لي أثناء قراءة عشق الروح، هي ليست مجرد قصة فكل حرف أقرأه أشعر كأنه يلامس قلبي، أتنهد وأتلهف لأقرأ المزيد، أعيشه كحلم أكبر مما يتخيله عقلي، لما كل هذه المشاعر هل هي الحرمان؟ أم أنه عشق الروح الذي لم أتخيل أن أكون ضحيته في حياتي.

علا حلبي

ليتك بقيت في العشق روحـاً تحلق في سماء الحب لتمطر أزهاراً وردية على الحياة، أما السياسة فلا دين لها بعكس الحب الذي هو كالدين أما أن تؤمن به أو لا، مع تحياتي وتقديري لحروفك الجميلة وتعبيرك المبدع

سناء شامي

هل فعلاً الأذن تعشق؟

جلال رجلٌ يقيم بعيداً عن وطنه، اكتسب شهرة في مدينته الجديدة، له معارف شتى، وعلاقات واسعة، سخرها في أعماله، في خدمة بني جلدته بعد أن شردتهم الحروب على مدى عشر سنوات لا يتوانى عن مساعدة من قصده حتى دون سابق معرفة وما أكثرهم، فينجح هنا ويفشل هناك لكنه لا يكل ولا يمل، حاز على ثقة الكثيرين، فلا يجد أيُ شخصٍ الحرج في سؤاله أو الرجوع إليه أو الطلب منه، ما يعينهم في صعاب الحياة ومشقة العمل وتحصيل المراد في مجالات شتى.

ذات صباح تصله رسالة على إحدى وسائل التواصل:

- صباح الخير أستاذ جلال.

- أهلا،صباح النور.

- أنا هدى.

- أهلا ست هدى الاسم ظاهر على حساب الفيس بوك.

- نحن أصدقاء في العالم الافتراضي.

- أنتِ في نفس مدينتي؟

-نعم، نحن جيران.

- تفضلي أي خدمة.

- هل يمكننا التحدث هاتفيًا؟

- طبعًا.

صوت هدى على الطرف الآخر كان مختلفًا، صوتًا يسمعه لأول مرة، شده، جذبه، أثاره، أحبه، شيئًا لم يألفه من قبل، شعر أن لصاحبة الصوت شلال عاطفة يتدفق بين شفتين، نسيم حنانٍ يخرج مع الكلمات، شوق متدفق لا يمكن مقاومته، لا يمكن الوقوف أمامه، هي عاصفة ضربت نفسه بقوة، وجعلت دقات قلبه تزداد دقة واحدة.

لم يكن جلال قد استوعب ما قالته هدى، لكنه فهم أنها تتوسط لأحد أقاربها للعمل بوظيفة في إحدى الشركات، وكون له معرفة جيدة بأصحابها، سألها أن ترسل صورة عن أوراقه، فقالت

فوراً، شكراً، انتهت المكالمة، وليتها لم تنتهِ، لا زال صوتها يتردد في مسمعه، ابتسم، شعر بنافذةٍ تُفتح بصدره وتدخل نسمات هواء نقي لطيف إلى شريان رئتيه، هذا الصوت بغرابة نبرته، وجرأة وتيرته أسره، وتملك وجدانه، لو تكلمه كل لحظة تطلب وتطلب، وهو لن يتردد أبداً في سماعها، استفاق من شروده وأسرع في إجراء اتصالاته ليحقق طلبها.

بعد عدة أيام تصله رسالة شكر وامتنان من هدى على جهده فقد قُبل قريبها في الوظيفة وتم الاتفاق على التفاصيل، ولم تنتظر وأسرعت في إرسال أرق كلمات الشكر والامتنان، لم يكفهِ ذلك، تمنى لو اتصلت هاتفياً وأسمعته صوتها القريب من قلبه، فقد اشتاق لسماعه، لكن لا يستطيع إلا أن يرد على كلماتها بالمثل، ويكتفي بذلك الآن.

تصله دعوة على هاتفه من هدى للدخول على أحد البرامج في إذاعة محلية مع كلمات رقيقة تقول فيها: (إهداء خاص للغالين على قلبي) نقر على الرابط وأخذ يستمع، إنها هدى بصوتها الساحر تعّد وتقدم أحد البرامج الإذاعية اليومية، مزيج من الكلمات والأشعار والحِكمْ مع أغان خفيفة وموسيقى رقيقة،

تناسب موضوع الحلقة مع تعليقات من المستمعين ومشاركات فورية، بقدر ما أسعده الإهداء الخاص وبقدر ما فرح بسماع صوت أسره، بقدر ما شعر بالغيرة، كيف صوتها يستمع إليه أحدٌ غيره، قد اعتبره ملكه الشخصي منذ اللحظة الأولى التي تحدثت إليه، لكن لا بأس من المشاركة المباشرة، علق على الحلقة وأثنى على هدى ومجهودها وشكرها على الدعوة المميزة، ردت عليه على رابطه الخاص وكان هذا يكفيه ليرضي غروره وأنه قد تميز عن باقي مستمعي البرنامج.

برنامجها يذاع في فترة خروجه للعمل فأصبح جلال من متابعيه كلما تمكن من ذلك، وبذلك يتمكن من سماع صوتها عبر راديو سيارته، ها هو الصوت الذي تمنى أن يستمع إليه من حين لآخر قد أصبح في متناول يده كل يوم، صحيح أنه عام للجميع، لكن ذلك سيكفيه إلى حين.

هكذا أمسى صوت هدى رفيقًا له، واستمر هو في إرسال كلماته وتعليقاته على هاتفها الخاص، وهي ترد عليه بكلماتها الرقيقة فشعر بخصوصية تواصلهم يختلف عن كل ما يتم على العام.

في كل مناسبة يرسل لها كلمات أو بطاقات أو مقاطع شعرية أو

موسيقية، وترد عليه بمثلها وقد تفوقه رقة وعذوبة، كانت هذه العلاقة الافتراضية تدخل على قلبه الفرح والسعادة، شعور لم يعشه منذ مدة طويلة، منذ انفصاله عن زوجه، وتوزع أولاده في أرجاء المعمورة، لم يبقَ بجانبه سوى آخر عنقوده يتابع معها حياته، أصبح صوت هدى جزء من تفاصيله وهو الغذاء الروحي الذي يستمد منه استمرار حياته الرومانسية العاطفية وأعاده إلى ما يجب أن تكون طبيعة الأمور، لم يكن يعرف أن الرجل في هذا العمر المتأخر في بدايات الستينيات يحتاج لمثل هذه المشاعر الرقيقة لتجعله باقٍ ضمن جموع العشاق والمحبين.

هل جاء دور العين؟

في تالي الأيام وصلت دعوة لجلال للمشاركة في أحد البرامج الخاصة في نفس محطة الإذاعة التي تعمل بها هدى، ها قد جاءت الفرصة ليرى صاحبة الصوت المخملي الذي شغله طوال الأشهر الماضية، حضر في الموعد المحدد، دخل الاستوديو واستقبله معد البرنامج والفنيين، لم يتردد في السؤال عن زميلتهم هدى صاحبة البرنامج المشهور، أخبروه لقد غادرت للتو، شعر بخيبة الأمل وها قد فقد فرصة ثمينة للتعارف، لا بأس، شارك في الحلقة، وأسرع بمجرد خروجه من الاستوديو بالتواصل معها:

– هدى ألم تستطيعي الانتظار لدقائق كي نلتقي؟ أنت أصبحت تعرفين صورتي وشكلي، من وسائل التواصل الاجتماعي ومن المقابلات التلفزيونية، ومن حقي أن أتعرف على صورتك أنت أيضاً.

اعتذرت بلباقة كونها مضطرة للعودة سريعاً للبيت من أجل أولادها.

بعد فترة أخرى كان على جلال مقابلة عدة مدراء لوسائل إعلام من ضمنها مدير المحطة الإذاعية حيث تعمل، طلب منها ترتيب الأمر، لبته وتحدد الموعد، أراد منها أن تتواجد كونها صحفية وإعلامية أصبح لها بصمة خاصة، وعدته خيراً، لكن قبل الموعد المحدد غادرت خاصة أن الموعد يتجاوز فترة تواجدها في المحطة، لم يؤثر ذلك على جلال كثيراً واحترم رغبتها.

استمرت العلاقة بين جلال وهدى على ما هي عليه بطريقة التواصل، بل توطدت أكثر، وأصبح يستشيرها في مؤلفاته ويرسل لها مسودة كتابه الأول الذي يحضر لطباعته، وهي ترد عليه، يتابع برنامجها ويستشعر حالتها النفسية من نبرات صوتها، يحادثها وترد بتحفظ دون أن تسترسل في تفاصيل معاناتها، أمسى قريباً منها وقريبة منه، يواسيها ويخفف عنها، وينصحها بقدر ما يعرف بعض التفاصيل الصغيرة، تمتن له كثيراً وقد تتحسن في بعض الأحيان بعد حوارهما، وهي تتعرف إلى حالته العاطفية والحرمان الذي يعانيه منذ سنين، تخفف عنه وترفع من معنوياته، وهذه

العلاقة كانت في حالة صعود ونزول، قد تمضي أيام لا تتجاوب مع مكالماته، فيعرف ما هي حالتها حينها، يسمع صوتها المثقل بالأحزان بعض الأحيان من برنامجها، يحترم غيابها، لا يضغط عليها، يعود تواصلها وتلمح لمعاناتها، وتطلب منه ألا يحمل همها، فهي في حالة صعبة ومعاناة أصعب، وهو يؤكد اهتمامه بها، وأنها أصبحت جزءاً هاماً في حياته، بل على رأس اهتماماته، ويشعر بواجب تجاهها، وأن يحمل عنها ويخفف عليها، كانت تقدر له موقفه هذا وتشعر بما يحمل قلبه تجاهها من محبة، وهي لا تستحق منه كل هذا، استطاع أن يكوّن صورة نوعاً ما عن معاناتها، انفصلت عن زوجها، تتولى رعاية أولادها، في حالة اقتصادية صعبة تمر بها كمعظم الأُسر المهاجرة في بلاد الاغتراب، يحاول أن يكون سنداً لها، وهي في عزة نفس كبيرة بالرغم ضائقتها، ويكفيها هذا الاهتمام من جلال كي تستعيد بعض قوتها، وتستمر في طريقها الذي رسمه القدر لها، أصبحت تخضع لعلاج نفسي وأدوية مضادة للاكتئاب، وهو يشرح لها نفس الحالة التي مر بها لنفس مرضها، وكيف تعالج منها وكيف عانى طوال مدة مرضه وكيف تغلب عليها، يضحكان حيناً ويحزنان أحياناً، أصبح كل واحد منهم مرآة للآخر، كل واحد يعرف معاناة قرينه

ويفهم مشكلته ويدعمه، وهكذا مضت العلاقة في شدّ وجذب، في صعود وهبوط، في قرب وبعد، في حزن وفرح، عرفا مدى تقارب روحهما، وشفافية علاقتهما، وترابط معاناتهما.

صدر كتابه الأول، شارك بمعرض خاص وطلب منها الحضور، كونها صحفية، وفرصة لهما للقاء والتعارف طال انتظاره، أصيبت ابنتها بمرض أثناء ذلك، تمنى لو كانت بجانبه، فمن حقها المشاركة مع شقيق الروح في هذه المناسبة، كانت المقابلات الإذاعية والتلفزيونية مع جلال بشكل يومي، اتصلت به أثناء أيام المعرض، وتمنت له التوفيق والنجاح، شعر كأنها تحادثه وهي قريبة منه في مكان ما في المعرض، تراقبه عن بعد وهو يحدثها، هل فعلاً استطاعت الحضور؟ ربما! عاد في آخر يوم معرضه ليلاً وتواصل مع هدى.

جلال: أيعقل أنك صحفية؟ ولا تجرين مقابلة معي؟

هدى: قد تُصدم إذا رأيتني.

جلال: يستحيل ذلك، تعلقت بك دون أن أراكِ، نحن روحان ينطلقان في فضاء عالمنا الخاص، نحلق بعيداً ونعود بعدها لواقعنا.

هدى: الآن ستعرف تلك التي احتجبت عنك طوال عامين.

لحظات وإذ بصورتها تصل على هاتفه،

جلال: ما شاء الله، لماذا تحجبين عني جمالك، لمَ تحرمينني من تلك العيون الساحرة.

هدى: هل أنا جميلة لهذا الحد؟...(لا ولو)

جلال: أنت أجمل امرأة بالنسبة لي حتماً كان رأي جلال هاماً بالنسبه لها، وهذا الإعجاب والإطراء أسعدها.

جلال: إذاً لماذا تقولين لي دوماً، أخاف عليك أن تُصدم إذا رأيتني، هل هو الدلال يا هدى؟

أخيراً حصل جلال على صورة لهدى، الآن يستطيع أن يجمع الصوت الأخاذ إلى العينين الجميلتين، إلى الملامح المتناسقة والشعر الكستنائي المنسدلة على كتفيها، ها هي هدى أصبحت كائناً واقعياً غير افتراضي يرافق جلال وهذا يكفيه حتى هذه اللحظة.

كيف أصبح التقارب أكبر.

استمر تواصلهما عن بعد، وازداد التفاهم والتناغم في الأفكار والمشاعر دون شطط، يهديها مقاطع أغنية، تهديه بيت شعر، يمزحان ويمرحان ويخففان عن بعضهما شعور الوحدة، حدثت نقلة جديدة في حياة جلال، تزوجت آخر عنقوده، انتقلت لبيتها الخاص، ازدادت وحدته، وحدثت أحداث مشابهة عند هدى، لم يستطع معرفة تفاصيلها، فهو يترك مسافة تحددها هي، ولا يقحم نفسه بما لا يعنيه، لكن يشعر بها، ويتعاطف معها، ويود لو استطاع أن يمد يد العون لها، لكن ما باليد حيلة.

بعد فترة استراحة بينهما، تواصل جلال وأرسل لها مقطعاً لأغنية تقول:

سلامي على الي حاضر معانا

سلامي على الي خالي مكانه

سلامي إن شاء الله يوصل سلامي

أسامي ما ريد أذكر أسامي

سلامي

طبعت قلبًا أحمر تعليقًا على أغنيته، كانت كافية بالنسبة له.

إحدى المرات دخل معها رحلة استكشاف لمتاعبها، عسى أن يخفف عنها.

فقالت: أنا أنثى تفيض حبًا، واستشعر الجمال في كل شيء. قال لها: أعرف. قالت: كيف عرفت؟

قال: من حديثك، من المواضيع التي تنشرينها في برنامجك، اختيار كلمات الأغاني، حتى من بحة صوتك، وأكيد هناك كثرمثلي معجبين بك. قالت: لا يثيرون اهتمامي.

صوّر بيته الجديد، وأرسل الفيديو، أعجبها كثيراً، قالت له: صاحب ذوق عالٍ، هي لا تخفي إعجابها به وبطوله وطريقة تسريحته، الشيب في شعره، (الطعجة) في ذقنه، وأسلوب حديثه،

تعكس ثقته بنفسه، وثقافته الواسعة، وقدرته على إيصال فكرته بأقل الجمل والكلمات، طريقة لبسه، تعتبره قمة الذوق والأناقة، خاصة عندما يدمج لون البني مع السماوي، تصاب بحالة جنون، يسلبها تحفظها، وتتغزل به، يقول لها جلال: أنت تبالغين في مدحي، لستِ حيادية، تنظرين بعين المحب، تقول له هذه حقيقة جلال، إحدى المرات أبلغها بموعد مقابلة جديدة مع محطة تلفزيونية، فقد ارتدى خصيصاً ما تحبه من ملابسه، أحست أن هذه المقابلة كانت خصيصاً لها، دون كل المتابعين، نفس الشعور ينتابه عندما يتابع برنامجها، وتضع إحدى الأغاني التي يحبها، وكأنها خاصة له دون كل المستمعين.

كلما انتهى من جزء أحد كتبه، يرسل لها لتقرأه، يعرف عملها الشاق ورعاية أولادها ومطالب الحياة يأخذ جل وقتها، قد لا تتمكن من القراءة، لكن كان هذا الشيء يسعده وهي أيضاً، وتشعر بمدى قيمتها لديه واهتمامه برأيها.

عندما تغيب أيام، ولا يريد التواصل في وقت غير مناسب لها، يرسل لها بعض الأغاني التي يحبها، اختار هذه المرة أغنية غربية يقول مطلعها:

Words don’t come easy to me

How can I find a way to make you see?

I love you, Words don’t come easy

Words don’t come easy to me

This is the only way for me to say

I love you, Words don’t come easy

متى اللقاء إذاً؟

إحدى المرات قال: هدى تقبلين عزيمتي، قالت: جلال أقبلها طبعـًا، قال: بحماسة متى؟ ردت: خليها للزمن.

اقترب موعد معرضه الثاني، قال لها يجب أن تحضري، والأولاد أيضـًا فهناك نشاطات خاصة بهم، قالت سأحاول.

في اليوم التالي تواصل معها:

جلال: هدى أين أنت؟

هدى: هنا!

جلال: أريد أن أفهم لماذا تزورين أحلامي.

هدى: من المؤكد أنه حلم مزعج كابوس أكيد.

جلال:أبداً سامحك الله.

هدى: لا تفسره كرمى لله أخاف أن تصاب بمكروه.

جلال: حلم جميل لا يحتاج تفسيراً

هـدى: هنيئـاً لـك، لـو رأيتنـي حقـاً لطردتنـي مـن أحلامـك وخيالـك، قـد أصـادر لـك مـا نتمنـى.

جـلال: سـامحك الله لمـاذا تقوليـن هـذا صورتـك جميلـة جـداً والجمـال أشـمل وأوسـع.

تتهرب من الإجابة، فيصّر عليها بالرد.

قالـت: الفكـرة باختصار،كثيـراً مـا تتملكنـا رغبـة أو شـغف لشـي أو لمعرفـة شـخص مـا وعندمـا يتحقـق ذلـك ينتهـي ذاك الشـعور الجميـل، وأنـا لا أريـد ذلـك.

جلال: هل سنبقى في الأحلام إذاً؟

هدى: نعم هو ذا.

جلال: لكن الواقع أجمل برأيي.

هدى: لنا في الخيال حياة.

جلال: إذاً هل أبقى في الأحلام!

هـدى: قبـل أن ترسـل لـي دعـوة حضـور المعـرض، مـررت بالقـرب مـن المعـرض، كنـت متأكـدة إن زرتـك سـتعرفتي وإن لـم تكـن

رأيتني من قبل، رسمت في خاطري سيناريوهات أني ألقيت عليك السلام وعرفتني.

جلال: إذاً ليس من الغريب أني كنت أنتظر حضورك المعرض،كنت أرى وجهك في وجوه النساء اللاتي دخلن المعرض، وليس من الغريب وأن تزوري أحلامي لأيام.

هدى: ماذا رأيت اروي لي ذاك الحلم.

جلال: كان لقاءً روحيًا (تترك هدى على رسالته قلب أحمر) لا تهم التفاصيل لكنه كان جميلاً.

هدى: الأهم من كونه جميلاً، أني بت أسكن أحلامك.

جلال:هل سعيدة لأنك تغلغتي في عقلي هكذا؟.

هدى: أعرف أني احتللت عقلك وروحك (يترك جلال قلب أحمر)، لأن حالي يشبه حالك. لكن الحياة لا تعطينا ما نرغب. (يترك جلال على رسالتها دموعًا).

هدى: في يوم ماطر ليلاً تمنيت لو أرافقك في السيارة،الجو بارد في الخارج، نستمع لأغنية عذبة يملأنا الحبور والسعادة لدينا الكثير لنقوله نضحك سويًا ونبكي أيضًا أراقب فرحة عينيك، وترى حيائي قد تستغربه لمرأة في مثل عمري.

جلال: كم هو جميل كلامك كم هو رائع ما نرغب به.

هدى: ألم أقل لك إنها كافية بالنسبة لنا.

جلال: إن كنت سعيدة بهذا فقط فأنا في غاية سعادتي لأني أدخلتها إلى قلبك.

هدى: ما الذي أعجبك بي؟

جلال: فقط أريد انتزاع فكرة أني لن أعجب بك إذا رأيتك. أنا أنظر لك بعيون قلبي.

هدى: من أخبرك أني لا أرى نفسي جميلة.

جلال: شدني صوتك في البداية ذاك الشيء الغريب فيه.

هدى: صوتي أم حديثي؟

جلال: أصبري لم أنهي كلامي بعد.. عندما تحدثنا أعجبني ثقتك بي وسردك لي مكنونات قلبك، أحببت أسلوبك، ظننتك شاعرة، وأكثر من ذلك شعرت بأن أرواحنا متقاربة ودليل هذا أنت تودين الحضور للمعرض وأنا أنتظرك في كل لحظة.

هدى: هل انتظرتني؟

جلال: أقسم بذلك.

هدى: هههههههههه.

جلال: من المهم أن تبقي سعيدة (تطبع قلب احمر)

هدى: أحيانًا أتجاوز الحدود في الخيال.

جلال: مثل ماذا؟

هدى: أحيانًا أنزعج من البيت والحياة أقول لهم أريد أن أفتح باب الحياة وأخرج للمشي ليلاً وأنا أضمر رغبتي بالاختباء عندك.

جلال: إنه ليفرح قلبي أن تلجئي إلي في الأوقات العصيبة (تطبع قلب أحمر) هدى هل تعرفين البرامج المسائية همسات الليل أو ضوء القمر سيكون برنامجي الخاص في الصباح للجميع أما هذا فلي فقط..

هدى: هل تستمع إلَي؟

جلال: طبعًا وأشتاق لصوتك.

هدى: وأنا أتابع مقابلاتك دومًا.

جلال: حتمًا هكذا هي الأرواح تشعر بغيرها. ما الذي بيعجبك بمقابلاتي؟

هـدى: حضـورك وثقتـك بنفسـك وعفويتـك وطـول قامتـك، ولاحظـت لمحـة الحـزن في عينيـك.

جـلال: طـول قامتي هـام جـداً، لكـن كيـف رأيتي ذاك الحـزن؟ لـو رأيتي عيني عـن قـرب لـن تسـتطيعي المقاومـة.

هدى: متأكدة من ذلك.

قال: ليت الجميع يملك عينيك.

جلال: أنت كنزي أنت وصفتِ أكثر ما يميزني.

هدى: ربما لما أستطيع انصافك.

جلال: يكفي كي لا أصاب بالغرور.

هدى: لا أظن.

جـلال: أحـاول دائمـاً أن أحافـظ علـى تواضعـي لكنـي لا أقـوى علـى مجابهـة هـذا الـكلام.

هدى: هذه حقيقة جلال (يطبع قلب أحمر)

جلال: وسأحتفظ بهذه الصورة الجميلة دون ألقاب.

هدى: ألا يكفي هذا القدر اليوم؟

جلال: وهل أكتفي منك، لكن يكفي لا بد أن أعمالك عالقة ووراءك الكثير. سأعود لأحلامي وروحك ترفرف حولي.

هدى: أفكاري معك تتجاوز الحدود. معك أنا أفكاري الشريرة مرات بتقلي بتخيل مثلاً (يطبع قلب أحمر)

جلال: بماذا؟ شو.

هدى: أن أسرق مفتاح بيتك وأدخله نهاراً في غيابك أنظف البيت وأرتبه وأعد لك الطعام وأخرج.

جلال: أفكارك ليست شريرة بل غاية في الطيبة، ثم أنا أشكرك جداً أنا أرتب بيتي دائماً لكن بالنسبة لطعام فهذا غاية في الجمال.

هدى: اتفقنا.

جلال: لا بد أن أمي سعيدة الآن، هي تشعر بي بالتأكيد.

هدى: يرحمها الله لكن لماذا؟

جلال: لأني سعيد اليوم بك، اهتمامك شي رائع والأفكار جميلة جداً

هدى: ليس رائع فقط، هي صادقة وحقيقية.

جلال: روعته بصدقه وهذا يكفي.

هدى: تطبع إشارة الخجل

جلال: الخجل يليق بك لكن لا تخجلي.

هدى: إلى الآن أنتظر ما علقت به على برنامجي الإذاعي.

جلال: أية تعليق؟.

هدى: عندما أطلقت أغنية «مهم جداً»، كتبت لي حقاً من مهم جداً وجودك في تفاصيل حياتي أو لنقل صار مهم جداً.

جلال: نعم كلامي كان صادقًا ويعبر عما أشعر به.

هدى: جلال ما الذي دفعك إلى كسر القيود وتراسلني؟

جلال: شعرت أنه هناك ما يقريب بينا ويجمعنا.

هدى: هل شعرت بهذا مؤخراً؟

جلال: لا منذ زمن.

هدى: سأصدق القول كنت أمنع نفسي عنك.

جلال: أعرف، وأشعر بذلك، وهو حقك.

هدى: تطبع إشارة الحزن.

جلال:القلة من يشعر بما نمر به، حديث الروح للأرواح يسري.

هدى: نعم نعم.

جلال: الكلام جميل هل سنترك شيء للمرة القادمة.

هدى: لم يبقَ شيء للمرة القادمة، والأن ستقول لي!!

جلال: ماذا سأقول؟

هدى: يبدو أنك متورط و وضعك صعب.

جلال: تمام، هل تعرفين؟.

هدى: قل.

جلال: أتعلق بك كل يوم أكثر مما سبق، أحاول أن أبتعد وأفشل في ذلك أشعر أنك شيء مهم حقًا.

هدى:ما الذي شدك.

جلال: لا أعرف. من المهم أن يعيش الإنسان هذه المشاعر في حياته.

هدى: طبعًا.

جلال: وأشعر أنك بحاجة لي أيضًا لشخص يفهم ما تمرين به ويشعر بما تعانين.

هدى:الأهـم مـن هـذا ألا يكـون مـلء فـراغ وانتهـى وتكـن مشـاعر حقيقية .

جلال: أكيد.

هدى: أنت شيء آخر.

جلال: لم أفهم.

هدى: حبك أنت شكل تاني.

جلال: طبعـًا... لكن هل تحبينني؟

هدى: لا تشعرني بالخجل. (تضع علامات الخجل)

جلال: قوليها كي تزيد وسامتي.

هدى: بعض الهوا لا يقبل التأجيلا.

جلال: لكنك تؤجلين دومـًا.

هدى: القرب مني مصيبة يا شب.

جلال: أعرف.

هدى: ماذا تعرف؟ من حاول فك ضفائرها.

جلال: مفقود.

هدى: يا ولدي.

جلال: كل عام وأنت بخير عيد ميلادك.

هدى:حفظك الله لي وأنت بخير وهنا.

جلال: عيد ميلادك يوم جميل في حياتي.

هدى: خليلي عيونك (يطبع قلب أحمر)

جلال: هل لاحظتي أني أول من هنأك بعيد ميلادك وقد كتبت لك إهداءً على نسخة من كتابي بذات التاريخ. (أرسل صورة الإهداء)

هدى: نعم لاحظت وطرت فرحاً (يطبع قلب أحمر)

هدى: ترسل مقطع فيديو يشرح صاحبه ما هو الحب

مافيش سبب للحب... ما تسألش أنت حبيتها ليه... معرفش... ممكن أفكر لك بمليون إجابة... بس لو فكرت بكل إجابة أنا حقولها... حتلاقي فيها حاجة ملهاش علاقة بالموضوع... أنت... الحب ده حاجة من عند ربنا... ربنا هو اللي أمرني أحب هالانسان... أمر من عند ربنا... في ناس كتير ممكن يكونوا جذابين وملفتين للنظر... في حاجات كتير بشخصيتهم... بس تيجي عند

الحب... ما تزبطش معاهم... الحب حاجة كده مالهاش سبب... ملهاش تعبير... حاجة كده زي النسيم... زي البرفان... اللي بيطير في الهوا... ويدخل فييا... ويعمل ما اعرفش... حاجة سر كده.

جلال: الله يا هدى لا بد أن ما يقولونه صحيح أن الحب كالحمى، لكن هذا المعنى جديد أن الحب كالعطر يدخل مع أنفاسك ويغمر جسدك ويشعره بالسعادة. أريد أن أسألك سؤالاً.

هدى: قل.

جلال: من شعر بالآخر أولاً من أحب الآخر قبلاً.

هدى: أنا.

جلال: متى كان؟

هدى: هل تصدق، منذ المكالمةالهاتفية الأولى، لكن كان يمنعني من البوح الكثير..

جلال: أصدق إحساس لذيذ وصلني وقتها.

هدى: سوف أرسل لك أغنية ونستمع لها معًا.

جلال: أرسلي.

استمعا للأغنية سوية وتقول كلماتها:

تلومني الدنيا إذا أحببته كأنني.. أنا خلقت الحب واخترعته كأنني أنا على خدود الورد قد رسمته

كأنني أنا التي.. للطير في السماء قد علمته وفي حقول القمح قد زرعته وفي مياه البحر قد ذوبته..

يا أيها الغالي الذي.. أرضيت عني الله.. إذ أحببته هذا الهوى أجمل حبٍ عشته

جلال:جميل جداً النهايةجميلة أعرف القصيدة لكن لأول مرة استمع لها كأغنيّة.

هدى: يا أيها الغالي الذي أرضيت عني الله إذ أحببته (يطبع جلال قلب أحمر)

جلال:أنتظر أن تستقبليني بالورود.

هدى: لو كنت حرة وأستطيع أن أكون معك ستفقد عقلك.

جلال: من الآن فقدته..

هدى: أنا أذهب بالأشياء إلى أبعد مدى، جنون، لهفة، وشوق، كل شي،قد تراني فرسة جامحة، اعتدت أن أعيش اللحظة التي أنا فيها إلى النهاية لذلك اتركني بعيدة عنك.

جلال: من الواضح هذا ولكن قد أستطيع التعامل معك.

هدى: دائمًا كنت أشعر أني معجبة بهذا النوع من الشخصيات.

جلال: ومالذي تغير؟

هدى: لم أتغير وما زلت.

جلال: وأنا سأكون كما تحبين.

هدى: ترسل له قبلات.

جلال: يرسم قلب أحمر كبير ينبض ويقول دقات قلبي زادت.

هدى: يسلم لي القلب والروح.

جلال: سلم الله روحك وقلبك، حديث الروح للأرواح يسري.

هدى: نعم، تصبح على خير.

جلال: وأنت بألف خير. يرسل لها أغنية تقول كلماتها:

روحي تحبك، غصب عني تحبك، والمشكلة حبك بروحي جرحني

وإذا شكيت تقول ايش كان ذنبك، ذنبي هويتك يوم حبك ذبحني

طبعت هدى قلوب حمراء كثيرة كثيرة

وأرسلت له أغنية:

مش عايزه منك اثباتات ومصدقاك... في كل حالة من الحالات هفضل معاك

مصدقة الي عملته ليا واللي لسا حتعمله... مصدقة خوفك عليا اللي مش بتمثله

وعشان كده لو يحصل إيه مطمئنة... وعارفة إني بإيد أمينة حنينة

يطبع جلال قبلات كثيرة كثيرة

هل عرف سبب تهربها من لقائه؟

جلال: كيف أنت يا هدى، كيف كان عيد ميلادك.

هدى: ترسل صورة لقالب الحلويات، وترسل صورة خاصة بها جديدة من حفل عيد ميلادها.

جلال: الله الله، هذه الصورة البارحة.

هدى: نعم.

جلال: لماذا تبخلين علي بهذه الصورة الآن عرفت لماذا لاتريدين أن نلتقي.

هدى: لماذا؟

جلال: كي لا أفقد عقلي.

هدى: ليس لهذه الدرجة.

جلال: كم أنت جميلة.

هدى: هل ازداد جمالي أم بهت

جلال: كيف لي أن أعرف إن لم أرك من قبل ولم أفعل بعد؟

هدى: هههههههههه

جلال: لكن إن قارنت الصورة الأولى بالثانية فقد كسبت بعض الوزن لكنك كالشهد.

هدى: تطبع إشارات الغضب، قل أي شيء للمرأة إلا أن تقول أنك ازددت وزنـًا.

جلال: لأجل هذا كل مرة تقولين لي كي لا أنصدم يا عزيزتي لن أنصدم.

هدى: أنا قانعة بنفسي وأعتقد من يحبني سيحبني كما أنا بالرغم من عيوبي وسلبياتي على جميع الأصعدة هذا ما أنا عليه.

جلال: لم أقل شيئـًا تحت أمرك أيتها الجميلة.

غابت هدى فترة، قدّر جلال سبب إحجامها عن اللقاء طوال الوقت، هل يكون فعلاً سبب زيادة وزنها هو السبب؟ تذكر العلاج النفسي الذي تتبعه، والدواء الذي يؤثر على صحتها ومزاجها،

وكيف تبادلوا الخبرات بينهما، وكيف كانت هذه الحالة المرضية نفسها قد عانى منها جلال في نفس عمرها الآن، وهذا سبب لغيابها المفاجئ من حين لآخر عنه، ربما.

لكن يمكن أن يكون هناك أسباب أخرى، وضع الأولاد، طبيعة المصاعب التي تعاني منها والتي تجعلها دوماً غير مستقرة، ضغوط عمل أو وضعها الحساس في مجال الإعلام، محاولة لتجنيب جلال أي متاعب قد تسببها له خاصة وضعه كرجل يعمل في الشأن العام، احتمالات كثيرة قد تكون السبب، معرفته لسبب إحجامها عن اللقاء بقدر ما يعرف عن أوضاعها، لم يحاول البحث عن تفاصيل حياتها، ما حددته هدى من مسافة بينهما قد تحجب حقائق كثيرة لا يعرفها.

استعاد كل الحوارات التي تمت طوال تلك السنين، تذكر المصاعب التي مرت بها، والحمل الثقيل الذي تحمله ويصعب على الرجال حمله فكيف هي المرأة الرقيقة الحساسة المليئة بالمشاعر والحب، كل هذا يقتل ما هو جميل داخلها، كان يشعر بها دوماً، حتى لو لم تفصح عن التفاصيل، العلاقة الروحية بينهما يتيح لهما شعور كل طرف بالآخر.

عندما طال غياب هدى، أرسل جلال أغنية بتقول كلماتها:

ها حبيبي... مو على بعضك أحسك

ها حبيبي... خاطري لا تأذي نفسك

مينو زعلك... انت

مينو زعلك... انت

مني تزعل... لك والله... زعل الدنيا كلها... ولا مكروه يمسك حبيبي

كان يجب أن تعرف أن مهما كانت أسباب اختفائها عن ناظريه، هذا الأمر لا يؤثر في جلال، ولا يمكن أن يغير مشاعره تجاهها، هو أحبها دون أن يراها، عشق روحها، أحب تفاصيلها، صوتها، نظرة عينيها، كلماتها له، أغنياتها التي تهديها على الخاص أو عبر الأثير، كل هذا لا يمكن أن يغير من مشاعره تجاهها، عكس حالتها، هي تعرفه ورأته وتابعت مقابلاته، وذكرت له مرة بأنها حضرت إلى مكتبه، كان مزدحماً بالطلاب والموظفين فتراجعت عن الدخول، فهي تملك ميزة لم تكن متاحة له.

راجع كل هذه المحادثات، إحدى المرات أرسلت له مقطع فيديو لأحد المسلسلات تخاطب الفتاة حبيبها والدموع تملأ

عينيها (وأنا معاك، بحس كأني، كأني طفلة متشعبطة في رجلك، اللي لو سبتها حتوقع، حتوقع في بيير غويط، غويط أوي)

في شريط الذكريات وجد وعد من هدى أنها ستفاجئه يوماً وتزوره في المكتب دون سابق إنذار فترك لها اختيار الموعد بما يتناسب مع ظروفها وقربها من مركز المدينة حيث مكتبه، وافق على مضض فلا حيلة له في الأمر فترك لها حرية القرار.

وأخيراً التقت الأرواح

دخل جلال شركته يوم السبت الذي يُعدّ هادئاً بعض الشيء ويكاد يكون عطلة كالدوائر الحكومية، لا موظفين، ولا دورات وطلاب، توجه للمطبخ وحضّر فنجان من القهوة، صعد الدرج إلى الدور العلوي حيث غرفته ودخل مكتبه، فتح نافذته المطلة على مدخل الشركة نظر إلى ممرات المُجمع الشبه خالي، جلس يرتشف فنجانه، أجرى بعض المكالمات،ثم تفقد بريده، أدار موسيقى ناعمة وهو يتذكر حواره الأخير مع هدى، سمع باب الشركة يُفتح، فسأل من الضيف، فإذ صوت هدى تقول: أنا، قفز من مقعده، خرج من غرفته عبر الممر إلى الدرج، فإذ هدى تصعد أولى الدرجات السفلية وهو ينزل أول الدرجات العلوية، هي تصعد درجة وهو يهبط درجة، وعينهيما في عيون بعضهما البعض، التقيا في المنتصف، أمسك يدها، لسعته برودتها، وهي شعرت

برعشة يده، تمسكت به، جذب يدها وهو يساعدها للصعود، وصل كلاهما للنهاية بسلام، رفع يدها إلى شفتيه وطبع قُبلة على أصابعها، أطرقت خجلاً، أمسك وجهها ورفعه حتى التقت عيناهما من جديد، دمعت عيناها، تلعثم ولم يستطع أن يقول سوى: آه من بعدك يا هدى، أخيراً بعد ثلاث سنوات، لم تنطق، سار بها ممسكًا يدها كما يمسك الأب يد ابنته، أو كما يمسك المحب يد حبيبته، دخلا الغرفة، جلست، سحب كرسيًا وجلس بجانبها، أخذ بكلتا يديها وقد بدأت تعود حرارتهما شيئًا قليلاً.

قالت: لماذا ترتجف يداك يا جلال.

قال: لا أتمالك نفسي،

نظرت في عينيه طويلاً، وهو يمعن النظر في لون عينيها، فكلاهما لهما نفس اللون، شعر برهبة من نظرتها، وشعرت وكأنه يخترقها بنظرته الثاقبة الحادة ليقرأ أفكارها، لا يدري كمْ استمرت هذه النظرات المتبادلة، أخيراً قال لها كيف قهوتك وهمّ بالذهاب، ضغطت على يديه وجذبته وهي تقول: شكراً لاداعي، قال: هل يعقل ألا أقوم بواجب الضيافة.

قالت: ابقَ بجانبي ولا تترك يديّ، فجلس، وعاد الصمت المطبق مرة أخرى، وكأنهما آثرا الصمت في هذه اللحظة فقد

تحدثوا كثيراً لسنوات مضت وجاء زمن الصمت، لكن الحديث كان بلغة أخرى، هو حديث الروح للروح يسري، عاد بالذاكرة للأيام الأولى لتعارفهما، وهي تستذكر أحلى كلمات سمعتها منه، استمروا هكذا ساعة أوساعتين لا يدرون كمْ استمروا.

فجأة وقفت هدى، أفلتت يديها، تناولت حقيبتها واتجهت خارجاً، لحقها جلال وقف عند باب الغرفة وهي تتجه للدرج مغادرة، صاح جلال، هدى... هدى أرجوك توقفي، وقفت بُرهة ولم تلتفت، انتظرها فاستدارت ليرى دمعتها تسيل على خدّيها، اتجه إليها واتجهت له أسرعت فركض، أسرعت أكثر فاقترب فاتحاً زراعيه، ارتمت في حضنه، ضمها بقوة، قالت له: بقوة يا جلال بقوة، فيضمها أكثر فأكثر، حتى اختلطت أضلاعهما، بل التصق قلبيهما ببعض، وأصبحت الدقات دقة واحدة لقلبين، شعرا وكأن روحهما صعدتا لأعلى، وحامتا في فضاءٍ خاص بهما، ينظران للأرض ليروا جسديهما كأنه جسد واحد، ابتعدا أكثر فأكثر، طافا في ذكريات حياتهما زمناً ثم بدأت الأرواح تعود لأجسادها، غاصت هدى برأسها في حضن جلال، وجلال يضع يده على شعرها يمسده بحنان، تباطأت دقات قلبيهما، رفعت رأسها تنظر في عينيه، هذه اللحظة التي كثيراً ما قالت له أريد أن أنظر للأعلى في

عينك ولن تؤلمني رقبتي، تذكر جملتها، ابتسم، ابتسمت، أغلقت عينيها، قبلها من جبينها، وأخرى من عينيها، وقبلة على أنفها، وأخيراً التصقت شفتاهما، وشعر كليهما بحرارة الشوق والحنين والحرمان طوال هذه السنين، التصقت الشفاه دون انفكاك، دقات القلب تتسارع، كادت القلوب تُخلع من مكانها، ذهب ظمأ الأيام أخيراً، تباطأت دقات القلب، ابتعدت هدى، وأعادت رأسها إلى صدر جلال، وهو يداعب شعرها، قالت دعني أذهب، قال ليس بعد، لا زلت ظمآن، قالت: لن ترتوي، ماء البحر لا يروي، كفانا الآن، ترجاها أن تبقى قليلاً، ابتسمت وقالت: لا تكن طماعاً، قال: لا طمع في الحب، ضحكت، أخرجت مرآة من حقيبتها، مسحت دموعها، وقالت: كيف سأخرج للشارع هكذا، ضحك جلال وقال: عادي، سرحت شعرها، طبعت قبلة على خده، وقالت: وداعاً، وضع يده على كتفها محتضنها، رافقها إلى أسفل، أمسك بكلتا يدها، طبع قبلات على أصابعها عدة مرات، سحبتهما واستدارت خارجة، وقف يودعها وهي تسير في ردهة المجمع وبدأت تغيب بين الضباب، من أين جاء الضباب الآن، اختفت هدى، ركض جلال خلفها، سقط أرضاً.

فجأة سمع صوت المنبه من الموبايل يوقظه، فتح عينيه، ما هذا؟ أين أنا؟ نظر في سقف غرفة نومه، يا الله هذا حلم... هذا

حلـم، نظـر في سـاعته، بقـي دقائـق يبتسـم وهـو يتذكـر مـا شـاهد في منامـه، نهـض وتنـاول الموبايـل وسـجل رسـالة صوتيـة لهـدى كـي تحدثـه عندمـا تسـتيقظ، شـرب قهوتـه، جلـس ينتظرهـا، رن الهاتـف، إنهـا هـيَ، جـاء صوتهـا يلهـث فقـال لهـا: مـا بـكِ، قالـت: أريـد أن أحدثـك عـن حلـم شـاهدته اليـوم، قـال بـل أنـا سـأحدثك بحلمـي، اسـمعي شـاهدتك تدخليـن مكتبـي فقالـت: صعـدت الـدرج وأنـت تنزلـه قـال: أمسـكت بيـدك، فقالـت: وقبلتهـا، قال:مـاذا تقوليـن يـا هـدى هـذا حلمـي أنا،قالـت: بـل حلمـي أنـا، وأصبـح كل واحـد يحكـي للآخـر الحلـم والآخـر يكملـه لـه، قـال جـلال: مـا تفسـيرك يـا هـدى بحلـم حلمنـاه معـاً في نفـس الوقـت بنفـس التفاصيـل، قالـت: لـم يكـن حلمـاً يـا جـلال، هـذه أرواحنـا غـادرت أجسـادنا في نومنـا والتقتـا في عالمنـا الخـاص، هـذا هـو عاشـق الـروح، هكـذا يكـون عشـق الـروح لا الجسـد، أمـا زلـت تريـد اللقـاء يـا جـلال؟

صمـت ولـم يسـتطع أن يجيـب، فكـر في الأمـر، لـم يجـد إجابـة، قالـت : ألـم أقـل لـك إن عشـق الـروح هـو الأسـمى والأبقـى والأقـوى فهـو يتحـرر مـن كل الحواجـز والقيـود ويرافـق روح وليفـه أينمـا حـل وارتحـل. قُلـت لـك دعنـا نبقـى في عالـم الأحـلام وأنـت تُصـر أن نهبـط لأرض الواقـع، فمـا رأيـك؟

فعلاً لم يستطع جلال الإجابة، لكن قال: يا هدى أنا أحبك،

فقالت: وأنا أيضاً ولا أتصور نفسي بعيدة عنك، لكن إن ابتعدت أجسادنا فستبقى أرواحنا تلتقي كل حين وسيبقى هذا العشق حتى تصعد الروح إلى بارئها.

هز جلال رأسه، وقال: إذا لن توفي بوعدك وتحضري للقائي،

قالت: كان لقائنا منذ قليل ألم أفِ بوعدي لك،

قال: بلى بلى.

اختلطت الأمور في رأس جلال، قال: حسناً ماذا ستفعلين اليوم، قالت: عندي أمور مهمة عليَ إنجازها، سنتحدث في المساء، أغلق الهاتف وهو لا يزال في حالة ذهول.

تابع نهاره المعتاد وهو لا يزال يزن الأمور في رأسه، هل ما قالته هدى صحيح، نعم لا أنكر أني كنت سعيداً جداً بحلمي، هل يا تُرى أستطيع أن أكرر هكذا أحلاماً جميلة، أم أنها تأتي برغم عنا.

جلس في مقعده بعد عشاءه، تناول هاتفه وأرسل رسالة لهدى كي تحدثه عندما تكون جاهزة، وهو يحاول أن يحصي أسئلة كثيرة سيسألها، انتظر دقائق، نظر في رسالته، لم تستلمها، ربما

كان جهازها مغلقـًا، أعاد رسالة أخرى، نفس النتيجة، اتصل على التطبيق، لا جواب، اتصل بكل الطرق، النتيجة نفسها، بدأ القلق ينتابه، أعاد الاتصال مرات ومرات، غير معقول، ماذا أصاب هدى؟ بقي طوال الليل على هذه الحالة، جن جنونه، لا بد من أن أمر سيئًا أصابها أو أصاب أولادها، كيف سيعرف؟ نزل بسيارته واتجه إلى حيها، يعرف أن بيتها في هذا الحي سبق أن أخبرته لكن لا يعرف بالضبط في أي بناء، لكن ما الفائدة، ماذا سيفعل؟ هل يدق كل أبواب العمارات غير معقول، أخذ يلف بسيارته في الشوارع عسى ولعل، طبعـًا دون جدوى، بدأ الصبح يتنفس، عاد إلى بيته وهو يتوقع أن ترد عليه أو تتواصل معه لتخبره بما حدث، أشرقت الشمس، انتظر موعد برنامجها اليومي، حان الوقت، لم يُذع هذا اليوم، انتظر وانتظر بلا نتيجة، اتصل بمدير المحطة، سأله عن البرنامج، قال له إن الأستاذة هدى غادرت الإذاعة وكان آخر يوم عمل لها هو يوم أمس، ماذا ؟ وأين ذهبت؟ قال: له أعرف، ستغادر المدينة اليوم إلى أخرى قد تجد لها فرصة جديدة.

أغلق جلال هاتفه وهو يحدث نفسه، إنها تهرب مني، ملأت عيناه الدموع، لم يعد يرى شيء أمامه، إنها تهرب، جلال لا يصدق ما يحدث، لا بد أنه كابوس، لم ينم طوال الليل، ظن أنه يهلوس،

اتصل مرة أخرى، الرقم خارج الخدمة، بدأ يتذكر الحلم، آه لقد غابت هدى في الضباب، لقد سقطتُ أنا أرضًا، تذكر آخر كلمات هدى (إن ابتعدت أجسادنا فستبقى أرواحنا تلتقي كل حين وسيبقى هذا العشق حتى تصعد الروح إلى بارئها).

نعم كانت تركز على اللقاء الروحي لا الجسدي، لقد غادرت هدى بجسدها، لكن روحها ستبقى حتمًا، لا بد وأن يلتقيا في الأحلام، لا بد... لا بد.

كتب آخر قصائده عسى أن تعوضه عن الواقع الأليم الذي يعيشه، ويعود إلى عالم الأحلام.

حُلم ذاتَ صباحْ

كانَ حُلماً ورديًا داعبَ خيالي

تسللَ دونَ إذنٍ إلى كياني

فبدأ يتملكُ قلبي ووجداني

وأصبحتُ أعيشهُ كواقعٌ ثانِ

واقعٌ جميلٌ مقبلٌ بالأماني

وذهبَ الحُلمُ ذاتَ صباحٍ فانِ

فقلتُ ليتني استيقظت قبل ثواني

أخيراً... قالتها

جلس حامد في حديقة منزله يرتشف فنجان قهوته في ذلك الصباح الربيعي، رائحة الزهور وعبق الياسمين يفوح من حوله، ويستعد ليوم جديد كسائر أيامه الأخيرة التي يملؤها الملل ويواكبها الكآبة.

رن هاتفه، أمسكه ليرى اسم أخته ظاهراً على الشاشة، ما السبب الذي جعلها تتصل في هذا الوقت المبكر؟! لا بد أنه أمر هام.

حامد: أهلاً.. أهلاً صباح الخير.

أخته: صباح الخير حامد، كيف حالك؟

حامد: بخير وكيف حالك أنت؟

أخته: بخير... أحمل لك خبراً ولا أدري هل يسرك أم يحزنك.

حامد: هاته فكلاهما سيان عندي.

أختـه: اتصلـت الأمـس ولاء مـن الخـارج وأبلغتنـي أنهـا سـتعود للبلـد لترتـب أمـر اسـتقرارها بعـد طـول غربـة، وطلبـت أن أسـتضيفها وأختهـا في بيتـي كـوني أعيـش فيـه وحيـدة وهـو بيـت عائلتنـا بعـد أن رحـل أبوانـا وكذلـك أبواهـا.

حامد: من تقولين... ولاء... ولاء ستعود

أختـه: نعـم... قـدرت أنـه مـن الأفضـل أن تعـرف، ويجب أن تسـتعد للقائهـا بعـد هذه السـنين.

كان الارتباك باديـاً على لهجته وطريقة لفظه للكلمات.

حامد: طبعـاً... يجب أن أستقبلها أنا أيضـاً.

أخته: إذاً استعد يا حامد... إلى اللقاء.

أغلقـت ولـم يغلـق، بـدا مذهـولاً وكأنـه لـم يسـتوعب بعـد مـا قالتـه أختـه، تـرك جوالـه ونظـر إلـى السـماء، وغـاب لدقائـق مـع سـحابة ذكريـات بـدأت تتجمـع أمامـه في يـوم تنـدر فيـه السـحب، أحضـر غليونـه الـذي نـادراً مـا اسـتخدمه إلا في لحظـات تعنـي لـه شـيئـاً مـن السـعادة والغبطـة، أشـعل تبغـه وأخـذ يسـبح في بحـر الأيـام الماضيـة.

بـدأ شـريط الذكريـات يمـر أمـام عينيـه، كيـف كان اللقـاء الأول

بولاء، كيف تتابعت الأيام وتوطدت العلاقة بين أُسرتيهما وكيف بدأ يشعر بالحب نحوها وهما اللذان لا يمر يوم تقريبًا دون لقاء أو حديث هاتفي وكان يشعر بأنها تبادله نفس المشاعر والأحاسيس، ما باح بمكنونات قلبه ولم تبح بدورها، وكأنه اعتبر أن حبهما هو قدر محتوم، والجميع مسّلم به، وككل قصة تنتهي بالفراق انتهت قصتهما، لم يسترسل في ذكرياته لتفاصيل النهاية المؤلمة لهما، لا يهم شيء الأن بل المهم كيف سيلتقي بها بعد أكثر من خمسة وثلاثين عامًا، لقد مضى الكثير وكأنها لحظة عابرة، استيقظ من حلم صباحي ليعود إلى أرض الواقع، لملم أشياءَه وعاد إلى غرفته

طوال الأيام التالية أخذ يسأل نفسه كيف سيكون اللقاء، ماذا سيقول لها، ماذا سيسمع منها، طوال تلك السنين لم يلتقِ بها على الرغم من لقاءاته بأهلها وأختها، كان يعرف حامد الخطوط العريضة لحياتها، تزوجت وهاجرت لعدة بلدان وأنجبت البنين والبنات، معظمهم استقر خارجًا، وحتما كانت تعرف عنه نقط حياته الرئيسة، قرر أن يبادر ويقدم إليها هدية تعبر عن تقديره لها كونها اختارت بيت العائلة لتمكث فيه أيامها الأولى، وجد نفسه يذهب لمتجر المجوهرات الذي طالما اشترى منه هداياه لها أيام الصبا والشباب، كان بوده أن يخبره بأن الخاتم الذي انتقاه الآن

هو لنفس المحبوبة التي اشترى لها منذ أربعين عاماً، أخذ الهدية على عجل - دون أن يحسن الاختيار- خوفاً من استفسارات صاحب المحل الذي ظن في الغالب أن هديته هذه ستكون لإحدى بناته أو زوجته.

وجاء اليوم الموعود، دخل بيت أهله وكأنه يدخله أول مرة، غلبه الموقف وبدأ قلبه يدق بقوة لم يعتدها منذ زمن طويل وكأنه قلب شاب لم يتجاوز العشرين، وهو الذي شارف الستين، وجدها جالسة هناك مع أخته وأختها، اقترب... اقترب أكثر... بدأت ملامح وجهها تتضح... هذا شعرها القصير لا يزال يلامس خدها... وتلك عيناها الدافئتان تنظر إليه وكأنها تراه أول مرة، شفتيها الرقيقتين تنطق بكلمة أهلا حامد... مدّ يده ومدت يدها وتصافحا وكأنهما لم يفترقا إلا الأمس... جلس وهو ينظر إليها وكأنه يريد أن يرتوي من عطش السنين الطويلة، لم تتغير كثيراً بالرغم أنها امتلأت نوعاً ما، هذا ما قاله لنفسه هذا طبيعي، صحيح لا يزال يحتفظ بلون شعره الأسود ولكن الأيام وضعت خطوطها على وجهه، هذا ما قالته لنفسها، مد يده وقدم لها هديته، ابتسمت وأخذتها وشكرته،

كانت الأحاديث اعتيادية في مثل هكذا مناسبات وتجنب استحضار أي من ذكريات الماضي، خاصة أن أخته أوصته بذلك.

وتتالت الأيام وهي في ضيافة أخته وهو لا يحاول الإكثار من الحضور، وتغلب على أحاسيسه التي استيقظت فجأة فكيف لا وهو قد بلغ من العمر ما بلغ.

في يومٍ طلبت ولاء منه أن يستبدل الخاتم بآخر أكثر ملاءمة وهي تناوله إياه، نظر وكأن هذا الخاتم لم يختره، فهو بعيدٌ جداً عن ذوقه، فأعاده لها وقال: ولاء... أنت تعرفي المتجر يمكنك الذهاب بنفسك واستبداله بآخر تختارينه أنت، فقالت حسن هذا أفضل.

ومرت الأوقات اعتيادية، طلبت أخته أن يحضر، عند وصوله قالت له ولاء ألا تريد أن ترى هديتك بعد أن استبدلتها، قال حامد حتماً، فرفعت يدها والخاتم بأصبعها، مدّ يده إليها... فجعلت أصابعها تغوص في راحته، أطبق يده ورفعها نحو شفتيه ليقبلها، وكلما اقتربت يدها منه ضغطت أصابعها على يده، وكلما اقتربت أكثر ضغطت أكثر، وهو لا يدري أفعلت هذا رهبة أم رغبة، حتى لامست شفتاه أصابع يدها الباردة، وطبع قبلته، فقالت له ألا تريد أن تنظر إلى الخاتم يا حامد، قال طبعاً نظر فوجد قلبين متداخلين

يتوسطن الخاتم، يا له من تعبير عن مكنونات نفسها تأخر أربعون عاماً، ولكن يكفي أن قالتها... أخيراً.

المشي على الجراح

أمسك بقلمه وأخذ يخط لها مشاعره الملتهبة وحبه الدفين، فقد مضت ثلاث سنوات منذ أن شعر بسهم الحب يصيب فؤاده، لا ينسى هذا اليوم أبداً حيث توالت بعده اللقاءات، هم بالأصل ينتميان لعائلتين تربطهم صداقة متينة، كانت دراستهم ورحلاتهم وسهراتهم وأحلامهم معاً فهم بنفس السنة الدراسية، أخذ هذا الحب يتملك كل مشاعره ووجدانه ولم يترك أي مناسبة ليقدم لها هدية متواضعة يبقى أسابيع يدخر من مصروفه ليشتريها لها، لم يجرؤ طوال تلك السنين أن يبوح ولو بكلمة فقد كان أضعف من ذلك، ولأن العلاقة بريئة بينهما فلم يتوقع منها أن تبوح له بعواطفها، لكن كل ما يجمعهما يدل على أنها قصة حب ناشئة، الآن شعر بأن الوقت قد حان للبوح خاصة أنهم على أعتاب دخول الحياة الجامعية ويريد أن يضفي نوعاً من الشرعية لعلاقتهما، فكتب كل

ما يجول بخاطره على كراسته الصغيرة الحمراء وأنهى الأسطر بطلب صريح منها لتبين حقيقة مشاعرها تجاهه.

قبل أن يسلم كراسته أعطاها لأخيه كي يقرأها ويسمع رأيه فهو قد سبقه بتجربة عاطفية مع زميلته بالجامعة وعلى وشك إعلان فصولها الأخيرة مع تخرجهم قريباً.

انتظر انتهاء إحدى سهراتهم العائلية وعلى باب البيت أعطاها كراسته وهو يرتجف، أسرع للشرفة كي يودعها كعادته ونظر إليها ونظرت إليه من نافذة سيارتهم مع ابتسامة خجولة، انتظر الأيام التالية لترد له كراسه ولم تفعل، قرر طرد ترددده وسألها مباشرة ما رأيها بما كتبه لها، فردت أنها لم تتمكن من الرد كما طلب منها، تصور أنها لا تزال تتردد في البوح فهذا طبع البنات ففيهم الخجل والحياء، أعادت له كُراسه وظلت أمورهم كسابق عهدها، لكن أصبح أكثر جرأة فهو الآن يستطيع أن يلمح بكلمة أو نظره أو بيت شعر قراءة على رزنامة الأيام أو أغنية من أغاني عبد الحليم، ويبدو عليها السرور وأي فتاة لا تُسر لمثل هذا الإفصاح بمشاعر الحب والإعجاب.

مع دخولهم الجامعة بدأ يشعر بالتغير منها، أصبحت تشعر بالحرج من أي كلمة مشاعر تصدر منه، تهرب من أحاديثهم

المشتركة وتنطوي بنفسها، ظهر ذلك جلياً في آخر رحلة للأسرتين جمعتهم سويةً وقد لاحظ الجميع ذلك، لكنه رأى ما لم يره غيره، تحاول دوماً إعطاء الاهتمام لأخيه، اعتبره نوعاً من إلهاب مشاعر الغيرة لديه ولكن لماذا مع أخيه وهو على وشك ارتباطه بمن أحب، فما كان منه إلا أن طلب أن تسمع منه ما لم يستطع أن يقوله صراحة سوى عبر السطور والكلمات والتلميحات، قال إن حبها تملك قلبه ولن يتنازل عنها مهما كان، لكن كان هذا البوح الصريح للأسف متأخراً جداً، لم تجبه فكانت لحظة سقوط أحلامه في وادٍ سحيق من الحزن والألم والأسى ولم يتمالك نفسه، بكى في غرفته كما لم يبكِ من قبل وهو يرى كل ما حلم به يتلاشى من بين يديه كما يهرب الرمل من قبضته وكلما حاول الإمساك أكثر هربت الرمال أسرع.

غاب عنها وغابت عنه أشهر عديدة، كان يحاول دوماً التهرب من المناسبات التي تجمع الأسرتين بمشاغل الجامعة والدراسة، ولاحظ الجميع ذلك واعتبروه مفيداً بل ضرورياً لوضع حد لما لا بد منه بد، لكنه لا يستطيع إلا أن يعرف أخبارها فلا يتردد بسؤال أخته عنها فهي دائمة الاتصال بها، وكأنه يمني النفس أن تعود لسابق عهدها ويسمع ما يدل على ذلك.

لكـن علـى العكـس، بـدأ يشـعر مـن أهلـه وكأن شـيئًا مـا مقبـل في الأفـق ولا بـد مـن بوحـه لـه وإخبـاره بـه، جـاء يومـًا طلبـت والدتـه منـه الجلـوس ليسـتمع إليهـا، بـدأت تتحـدث عـن مشـروع خطبـة محبوبتـه قريبـًا ويجـب أن يتقبـل الحقيقـة بحلوهـا ومرهـا، تصلبـت ملامحـه وتوقـف جريـان الـدم في عروقـه وأصبـح يسـمع دقـات قلبـه المتسـارعة لتدفـع الـدم مـرة أخـرى في كيانـه، كيـف يتقبـل الحقيقـة بحلوهـا ومرهـا يتقبـل مرهـا ولكـن كيـف حلوهـا، هنـا سـألها عـن العريـس المنتظـر، وانتظـر لحظـة مـرت عليـه دهـراً، يـا الله المفاجـأة إنـه أخـوه، مـاذا يسـمع... وكيـف كان ذلـك... ومتـى... وأيـن... وفجـأة بـدأ يسـتذكر الأيـام الماضيـة والرحلـة الأخيـرة، كيـف لـم يفهـم مـا حـدث، صحيـح في تلـك الفـترة فشـل مشـروع خطبـة أخيـه ولا بـد أنهـا عرفـت فغيـرت اتجـاه شـراع سـفينتها، وبـدأت تفـرد شـباكها المحكمـة حولـه فلـمَ لا فهـو الشـاعر الجـريء صاحـب المغامـرات السـابقة والمرغـوب كونـه وضـع قدمـه علـى أول طريـق الحيـاة العمليـة، أمـا هـو فالمـتردد الخجـول الـذي ظـن أن طهـر العلاقـة بينهمـا وصـدق مشـاعره وتعففـه عـن القـول الصريـح والبـوح السـريع هـي قـوة لصالحـه ولكـن قـد خـاب ظنـه، صحيـح أنهـا لـم تبـح لـه ولـو بكلمـة واحـده ولكـن ظـن أن علاقتهمـا قـدر محتـوم وهـذا كان خطـأه.

عاد من رحلة شروده ليسأل: الآن ما هو المطلوب مني، قالت والدته: هناك شرطًا وضعته والدتها وأنا موافقة عليه تمامًا، ما هو هاتيه: قالها... فلم يعد أي شيء مهم وذو قيمة بعد ما سمع ما سمع، هاتيها ولتكن نصلةٌ فوق النصال... اشترطت موافقته الصريحة الواضحة بلا لُبس فيها دون أن يضغط عليه أحد. وقالت أمه لك مطلق الحرية، ولا نريد ردك الآن فأنت ملك وقتك خذ ما تحتاجه من تفكير، وثق أن قرارك سيمشي على الجميع رغم اعتراض الخطيبين.

كان لا بد من لقاء يجمع الأخوين والأم تستمع إليهما، قال له متى أحببت حبيبتي؟ وأنت تعرف أنها حبيبتي وأنت غارقٌ لسنوات في قصة حبك لصديقتك في الكلية، وتقدمت لخطبتها ولم تتم الموافقة وانتهى الموضوع، ومنذ أشهر ارتبطت بعلاقة حب مع جارتنا، وفجأة ينتهي كل شيء بينكما وخلال أيام ظهرت قصة حبك لحبيبتي، فيقول إنه أحبها منذ زمن بعيد ويشهد والدته على ذلك فردت عليه كانت صغيرة حينئذ يا بني، يرد عليه وجرحه يزداد عمقًا، ما هذا الهُراء كيف يكون ذلك وأنت في ملكوت آخر طوال تلك السنين، لم يقنع كلامه أحداً، لكن أخاه يملك موافقتها عليه الآن واختارته هو وهذا يكفي، فعلاً هذا المنطق الذي تغلب بالنهاية هي التي اختارت أخيراً.

هل منحه الله فرصة الانتقام، هل مكنه الله الآن أن يهدم كل ما بنوه على أنقاض نفسه وحطام قلبه، نعم إنها فرصته كي يمنع سعادتهم أن تتم، لمَ لا فهو المغدور بينهما والضحية التي لم ترتجف أجفانهم وهم ينحرونها على مذبح أنانيتهم ليقدموها قرباناً لحبهم المزعوم.

البعيد والقرب ينتظر بترقب ما سينطق به، هو لم يتعود على سواد القلب وحب الانتقام والرغبة في التشفي، هو من حمل الحب الطاهر النقي في قلبه طوال سنوات يخفيه، هل يجرؤ على تدمير قلبها مثلما دمرت قلبه، هل يمكن أن يدوس بقدمه على سعادتها كما فعلت، كانت خلوته مع أمه كفيلة أن يحزم أمره ويعطي موافقته الصريحة الكاملة فلن ولن يكون يوماً عثرة في طريق أي إنسان وخاصة لشخصين عزيزين على قلبه أخيه وحبيبته.

في يوم الخطبة حمل باقة من الزهور وتقدم الجميع ليبارك ويتمنى لهما السعادة ولكنه كان يمشي على أشواك الزهور التي يحملها، أخذ يوزع الابتسامات وقلبه يعتصر ألماً، يأخذ معهم الصور التذكارية بجانبهم وهو يشعر بنفسه في بئر عميقة من الحرمان والحزن، كانت نظرات التقدير له من الجميع وهو يشعر

بضعف قدر نفسه وكيف ليس بوسعه أن يكون هو المحتفى به، تحمل كل هذا الألم والحزن وهو في مقتبل عمره.

كان لا بد من سفر أخيه لمدة عام كأول خطوة له في مشوار عمله، وهذا ما خفف عليه كثيراً الأيام التالية، فهو رغم ما قدمه من تضحية كبيرة أثنى عليها الكثير من المطلعين بما حدث، كان يشتاط غيظاً كلما رآهم سوية، لا يحتمل فيغادر، كيف بالله سيتمكن من الاستمرار هكذا على مدى الأيام، وجاءت لحظة الوداع فقد قرر الجميع أن لا يخرج لوداعه إلى العاصمة ثم المطار سواه، كان وداع الخطيبين مؤثراً جداً في نفسه فقد كان فراقاً جسدياً وهو الذي عانى قبلهم من لحظات الفراق الروحية، رافقه للمطار طوال الطريق كان أخاه مطأطئ الرأس على المقعد الذي أمامه وهو يسأله ما بك يا أخي فيقول له أشعر بخروج الروح مني، وعلى بوابة المغادرة تعانقا وكأنهما يتصالحان وغادر أخيه وهو يبكيه.

انطوى على نفسه وأغلق بوابات قلبه وصم أذنيه عن أي كلام معسول من تلك، وأغمض عينيه عن كل ابتسامة من أخرى، فقد قرر قتل الحب في نفسه ويعاقبها على فشلها المرير وعوضّ هذا

الحرمان بالتحصيل الجامعي، وبدأت نفسه تهدأ وروحه تستقر ولكن أصاب وجدانه التصحر العاطفي والجفاف النفسي، وأصبح تعامله معها كأخت له يحاول أن يكون لها أخ في غياب خطيبها أخيه.

لم يطلّع على تفاصيل علاقتهم بعد سفر أخيه فهذا أمر لم يعد من مشاغله ونأى بنفسه عن أي شيء يخصهم ولكن لا يتردد في العون إذا طُلب منه ذلك، جاء مرض والدته وضرورة سفرها لإتمام العلاج، كان ذلك على عجل وغادرت لتلحق ببلد أخيه، ومرت عدت أسابيع عصيبة حتى استقر وضعها الصحي واطمأن الجميع وهم بانتظار فترة النقاهة التي قد تطول بعض الشيء وأخيه الكبير يرافق والدتهم.

جاءه اتصال منها تطلبه بالحضور للضرورة القصوى، ذهب وهو يحاول أن يفهم ما المطلوب منه أخذت تسترسل بالحديث عن علاقتها بأخيه وسفره وكيف أنهم اتفقوا أن يعود منذ أشهر لإتمام الزواج وأنها انتظرت الكثير ولا بد من عودته وحددت له تاريخاً محدداً لا يتأخر عنه، حاول أن يثنيها عن شرطها فلن يكون ذلك قبل تمام شفاء والدتهم كي يعودوا جميعاً، لم تقتنع وأصرت على التاريخ وأن تأخره سينهي كل شيء وعليه أن يبلغه

ذلك صراحة، لكن لماذا هو بالذات لما لا تبلغه هي بنفسها، أصرت على موقفها وما كان منه إلا أن يبلغ أخاه وأرسل الخطاب مثلما حددت تمامًا من شروط.

مضى التاريخ المنتظر ولم يعد أخيه، ولم تنتظر هي أكثر من ذلك لتبلغه أنها خلعت خاتم الخطبة، وأصبح هو الرسول الذي يتلقى المواقف من الطرفين ليبلغ الطرف الآخر، وبدوره خلع أخيه خاتمه أيضًا وبدا أن الأمور اتجهت للنهاية.

عادت والدتهم من رحلة العلاج وبقي الأخ حيث هو وسرعان ما أتم خطبته من أخرى، كان المطلوب منه الآن أن يحمل معه ما تبادل الخطيبين من هدايا ويعيدها إليها.

دخل والوجوم على الوجوه فقد علمت بالخطبة السريعة لأخيه من أخرى، بدأت تكيل التهم لخطيبها السابق وكيف غرر بها ولاحقها حتى وقعت في شباكه وهذا هو حاله دومًا من فتاة لأخرى.

كانت فرصته الآن ليقول ما لم يستطع قوله منذ اليوم الأول: أنت من رميت شباكك حوله وكان لا يزال لتوه خرج من قصة حب فاشلة، وربما قبل ذلك لا أدري، أنتِ من أصبحت تطاردينه على مرأى من الجميع، لم تبالِ بمشاعر من أحبك ولم تبالِ أنك

دخلت بين أخين وشطرتي الأسرة إلى شقين، انفجرت في وجهه وكالت له تهمة سعيه لإفشال الخطبة، ماذا؟ أنا من أفشل القصة! يا لغرابة الموقف، هذا ما توصلتْ إليه أخيراً، هل نسيت أن موافقتي سمحت لإتمام الأمر حينها، هنا شعر بسهم نزل على قلبه لينتزع منه كل السهام التي أصابته منذ ذلك اليوم، وكأن الله وضعه في هذا الموقف كي يتم شفاؤه تماماً من هذا الحب الذي أمات في نفسه كل محاولة لحب أخرى، رأى أمامه قلة الوفاء وسهولة الغدر ممن لا تستحق منه سوى العطف.

شعرة الأمل (مقتبسة)

اقتادوه فجر يوم خريفي إلى أقبية الأمن، ليقابله المحقق بلائحة طويلة من التهم واحدة تكفي وصوله لحبل المشنقة، هو الأديب الشاعر الذي لا يهادن ولا يتملق ولا يساوم رافضاً جملة وتفصيلاً كل ما نسب إليه، رماه المحقق إلى جلاديه أذاقوه أصناف العذاب والذل والقهر، طلب ورقة ووقع على لائحة التهم عسى أن تنتهي فصول امتهان إنسانيته وصنوف أحقادهم.

بعد أيام كان في طريقه إلى سجنه، كانت رحلةً طويلةً شاقة أخذ يتذكر أيامه قبل الاعتقال وهو العريس الذي لم يمض على زواجه سوى عام وبضعة أشهر، زوجته التي كانت ملهمة قصائده ويحكي على لسان أبطال قصصه كل ما أراد أن يقوله لها من كلام العشق والهوى، استيقظ من ذكرياته على لكمة من أحد سجانيه تُنهي شريطاً مرّ أمامه وتنبؤه بوصوله إلى بيته الجديد.

مضت أربع سنوات وهو حبيس زنزانته لا يرى في جدرانها سوى سواد أيامه ولا يسمع إلا أنين عذابه وانطوى على نفسه منفصلاً عن زملاء المعتقل يلعن حظه العاثر الذي اقتاده إلى هذا المصير بسبب بضعة أبيات نظمها يتغنى بالحرية المفقودة، مضت تلك السنين لحظتها كيوم ويومها كسنة وسنتها كدهر.

ذات يوم لا ينساه طلبه السجان لغرفته ليرى ما افتقد من سحر وجمال حبيبته قد قدمت إليه لتقابله بابتسامة مصطنعة ودموع متحجرة ولونٌ شاحب، أمسك يدها المتجمدة وجلس إليها صامتاً لا يقوى على الكلام وهو من كان ملك الكلمات وأمير العبرات، أعطته حقيبة تحوي بعض ما أحب من صنع يديها وديوان لأحب الشعراء إلى قلبه، عاد إلى زنزانته وكاد أن يقول ليتها لم تأت أبداً.

بعدما استفاق من هول المفاجأة قرر أن يفتح صفحات الديوان الذي عاد إليه، لعله يخفف عنه وعثاء الأيام المقبلة، إذ بشعرة سوداء طويلة وضعت بين صفحاته، يا الله أنها شعرة محبوبته زوجته، نعم أنها هي، وضعتها كي تقول له إنها ما زالت على العهد ما دامت الحياة باقية، وما زاد من فرحته أن وضعتها في صفحة تحمل رقم ذا معان كثيرة، أجل هذا الرقم أعرفه، أذكره

جيداً، نعم هو ٢١٢ رقم غرفة الفندق الذي قضيا فيه أجمل أيام العمر، شهر العسل بإحدى المدن على شاطئ المتوسط، يا الله لقد تبدل حاله وتحولت سواد جدران سجنه إلى لون وردي وأصبح يرى قضبان المعتقل جدائل شعرها الأسود الطويل الفاحم، وشعر كأنه في عالم رحب واسع من الحرية وأصبح كطائر يجوب الآفاق فلا يكفيه ليعود إلى قفصه، أصبح يستيقظ مبكراً ليرى شعاع الشمس يتسلل من النافذة وكأن الابتسامة المشرقة التي عودته عليها حبيبته، أخذ يسهر الليالي ليراها في وجه القمر، وأخذ الأمل يدب في كيانه ونقله إلى زملاء السجن ليبعث فيهم روح التحدي لواقعهم المؤلم وأخذت أيامهم تتبدل من حالٍ إلى حال، تحولت من أقبية للظلم والظلام إلى قاعات النور والعلم والعمل، فتح حلقات للثقافة والفنون، يلقي عليهم محاضرات ويدرسهم ويثقفهم ويرتقي بهم ويرتقون به، وأخذ كل معتقل يعطي الآخرين ما عنده ليزيدهم علماً ويزدادون وعياً، كان في آخر يومه يلجأ إلى ديوانه ليلقي التحية على شعرة الأمل ويجعله وسادة له، مضت سنوات خمسة أخرى كأنها يوم أو بعض يوم، قد قرأ الديوان عشرات المرات ولامس شعرة زوجته آلاف المرات.

وجاءت اللحظة المنتظرة، يوم الافراج ولحظة اللقاء الذي انتظره طويلاً جداً، لقاء زوجته كان لقاءً عاصف كإعصار شوق ولهفة وحب وحنين، طلب منها أن تستعد للسفر معه، إلى أين قالت له، إلى ذلك الفندق الذي قضينا فيه أحلى أيامنا، ونفس الغرفة التي سكناها ٢١٢ كي نستعيد نفس لحظات السعادة، وصلوا هدفهم استلقيا بجانب بعضهم البعض، وضع رأسه في حضنها وهي تداعب شعره كطفل عاد الى أمه، أخذ يحدثها كيف تبدلت حياته بعد زيارتها له وكيف تحول سجنه من جحيم الظلم والقهر إلى جنة الحب وآفاق للحرية التي عاشها باقي أيامه، شارحاً لها نظريته الجديدة (كيف يمكن أن يكون السجن مبهجاً) وهذا يعود الى تلك الشعرة التي دستها بين صفحات ديوان الشعر وبالذات بين صفحة ٢١٢ وسماها شعرة الأمل، نهضت وهي تنظر إليه بعينين واسعتين مندهشتين وتقول: عن أي شعرة تتحدث ؟ !

الرفاق

مع نهاية عام دراسي انتسب عدد من طلاب الثانوية العامة إلى مجموعة تقوية للمنهاج في أحد المراكز التعليمية في مدينة حلب، ضم هذا الفصل كل من هديل وربى وتوليب ومهند وكرم وريان وإبراهيم وعادل وباسل ومصعب وحازم والهام وفراس جمعتهم الرغبة في التحصيل العلمي والحصول على درجات عالية تمكنهم من تحقيق حلمهم في الانتساب للكلية التي يرغبون بها ويشقون طريقهم إلى المستقبل المنشود.

مع قرب انتهاء دورتهم، اندلعت الثورة السورية وبدأت تنتشر كالنار في الهشيم، من درعا إلى بانياس فحمص فاللاذقية إلى دمشق فحلب وعمت بعدها كل المحافظات السورية، كانت حلب تغلي كرد فعل معروف وطبيعي وهي رائدة انتفاضة ١٩٨٠ في عهد حافظ أسد، بدأت تحركات منظمات المجتمع المدني والتنسيقيات

التي نشأت في بداية شهر نيسان حيث تركز في إصدار البيانات تدعُ إلى إطلاق الحريات وتعديل الدستور وإلغاء الأحكام العرفية وحرية الصحافة والإعلام وإطلاق سراح المعتقلين ونبذ العنف الذي لجأت إليه السلطة في وجه مطالب الشعب المشروعة في الحرية والكرامة، هذا القمع الشديد كان مختلف بداية في مدينة حلب، فقد لجأ النظام إلى تشكيل مجموعات الشبيحة المتعاونة مع أجهزة الأمن والتي استبقت اندلاع المواجهة في حلب لاعتقال أكثر من ٤٠٠٠ مواطن مسجلين لديهم كمعارضين محتمل انخراطهم في الانتفاضة، كان التعامل مع المحتجين بنوع من الليونة والحذر كي لا تنخرط حلب بقوة في هذه الثورة المتنامية.

هذه الباقة من شباب وشابات مجموعة التقوية كان رد فعلها طبيعياً بعد ما شاهدت مظاهرات أقرانهم في المحافظات الأخرى، شارك بعضهم في المظاهرات الطيارة هيَ سمة حلب في الفترة الأولى بسبب الضغط الأمني الاستباقي الكبير، البعض أنشأ الصفحات على وسائل التواصل الاجتماعي تحرض وتدعو إلى الالتحاق بالمظاهرات، وتنشر أخبار الحراك في كل الأرجاء، تعرض بعضهم للاعتقال لفترات بسيطة تنتهي خلال أيام معدودة مع أخذ التعهدات بعدم العودة لهذا النشاط مثلما أشرنا لهذه السياسة المتبعة مع حلب.

التحق كل من مهند وريان وربى وعادل بكليات الهندسة بمختلف فروعها، باسل حقق حلمه بكلية الطب، مصعب وحازم وإبراهيم وكرم وتوليب وفراس وإلهام بكليات الآداب والتجارة والإعلام والتمريض، صحيح أن الكليات فرقتهم لكن بقيت رابطة الصداقة تجمعهم ورابط أقوى قد ألف بينهم ألا وهو رابط انتسابهم للثورة السورية التي أخذت شكلها النهائي وهدفها الرئيسي ألا وهو إسقاط النظام.

مع انتسابهم لجامعة حلب كان انتقال الثورة إلى الجامعة وبدأت صفوف الثوار تنتظم بشكل متسارع في كل الكليات، أخذت المظاهرات تندلع في باحات الكليات وفي الممرات والساحات الخارجية، وتنتقل منها إلى أحياء حلب المنتفضة، كان فريق المستقبل الذي أشرنا إليه قد اتضح شكل مشاركته في الثورة، منهم اهتم في وسائل التواصل الاجتماعي ومنهم من شكل مجموعات لإسعاف جرحى المظاهرات، ومنهم من بدأ في ترتيب المظاهرات الضخمة بدل المظاهرات الطيارة.

أول من اعتقل من الفريق عادل طالب الهندسة المعلوماتية، من خلال اختراق صفحته التي كانت وسيلة التواصل مع التنسيقيات

المختلفة والتي تحضر لمواعيد المظاهرات وأماكن انطلاقها والأعداد المتوقعة، كان كمين من عناصر المخابرات العسكرية بانتظاره، لم تطل فترة الاعتقال فقد أطلق سراحه بعد عشرين يوماً، مع توسع مظاهرات ريف حلب الغربي اتجه فوراً إليه وانخرط في الحراك الثوري.

زميلته هديل في الفريق وزميلة الاعتقال أيضاً ولنفس الفرع الأمني، تعتبر من أوائل الصبايا المعتقلة بمدينة حلب، قامت بتوزيع منشورات تطالب بالحرية والديمقراطية وقبض عليها عناصر الأمن، كان خبر كهذا كافياً للتدخل من قبل الكثير من أشخاص وجهات نافذة وهي ابنة مدينة الحسكة وأدت الضغوط إلى إطلاق سراحها.

مع بداية عام ٢٠١٢ كان الحراك الثوري في تصاعد بوتيرة كبيرة، خاصة مع بداية الانشقاقات في جيش النظام التي بدأت منذ بداية الثورة وتسارعت مع نهاية ٢٠١١ حتى تشكيل تنظيم الضباط الأحرار ومن ثم الجيش السوري الحر، أدى ذلك لانتشار العناصر المنشقة في أرياف حمص وإدلب وحلب وتطلب ذلك تأمين اللباس والغذاء والدواء لهم، هنا تصدر فراس وإلهام وكرم لهذه

المهمة ولخبرتهم في الأدوية والمستلزمات الطبية كونهم طلاب المعاهد الصحية، بدؤوا في قيادة زملائهم في تجهيز الملابس وخاصة الشتوية منها والتي تصلهم من المتبرعين أكانت مستعملة أم جديدة التي تبرع بها بعض أصحاب المعامل، ليتم وضع الأدوية والإسعافات الأولية بين الملابس وإرسالها عبر شركات شحن مأمونة الجانب إلى محتاجيها.

كانت المظاهرات في جامعة حلب جاذبة لبقية الفريق، ريان تخبر ربى وتوليب بأنها عازمة على قيادة المظاهرات حتى يتحرك الشباب ويتحمسوا حتى لو أدى ذلك لاستشهادها، وعليهن مشاركتها. فكانت من العناصر الفعالة في كلية الهندسة الكهربائية، وكذلك صديقها وجارها بالسكن مهند كان من العناصر النشطة كثيراً، باسل ومصعب وحازم يشكلون مجموعة إسعاف وطوارئ تدخل بين المتظاهرين خاصة في أحياء صلاح الدين وسيف الدولة والسكري وتبدأ بعلاج المصابين في الشقق التي تفتح لهم كنوع من المشافي الميدانية، إبراهيم وكرم قادوا زملاء لهم في نقل احتياجات السكان المهجرين من الأرياف نتيجة القصف التي بدأت تتعرض له من قبل جيش النظام، هكذا نجد أن فريق المستقبل والذي يشكل صورة مصغرة عن مجتمعاتهم وهم ينتمون تقريباً لكل

المحافظات السورية قاد الكثير من الشباب ومن الجنسين في مختلف أنشطة الثورة الإعلامية والإغاثية والطبية والاجتماعية وكان السباق في الالتحاق بثورة الكرامة، سيكون الفريق أيضاً السباق في تقديم الغالي والنفيس خدمة لمستقبل جديد ينتظر سورية بدلاً عن مستقبلهم الذي أصبح في درجة اهتمامهم الأدنى.

كان وصول وفد الجامعة العربية في منتصف شهر مايو ٢٠١٢ فرصة فريق المستقبل للمشاركة الفعالة في المظاهرة الكبرى التي انطلقت في جامعة حلب بحضور اللجنة المذكورة، مما دعا رئيس الوفد أن يعلق (إذا كانت حلب الموالية لنظام -كما قيل لنا - تخرج فيها مظاهرات بهذا الحجم فكيف إذاً حال المدن المناهضة للنظام)، اتصفت مظاهرة جامعة حلب بقوتها وشدة المشاركة بها، قد رتب فريق المستقبل عملية التوثيق والتصوير، وبعضهم نسق المجموعات المشاركة من عدة كليات، منهم حمل الحقائب الإسعافية للطوارئ، مع مغادرة لجنة الجامعة العربية بدأت أجهزة الأمن بالهجوم على المتظاهرين بالضرب والاعتقال وقد وثقت كل هذه الممارسات بالصورة والصوت وتم تحميلها على وسائل التواصل الاجتماعي فكانت هذه المظاهرة نقلة نوعية في الحراك الثوري بحلب.

شهر ٦-٢٠١٢ انتشرت المظاهرات في مدينة حلب بشكل ضخم وبأعداد كبيرة وكثر الجرحى والشهداء كان باسل ومصعب وحازم ومحمد في قمة نشاطهم الإسعافي، يحملون الحقائب على ظهرهم وينتشرون بين صفوف المتظاهرين مستعدين لكل حالة إصابة ويتدخلون بالإسعافات اللازمة في الشقق التي تفتح على عجل كغرف إسعاف مؤقتة تستقبل الجرحى بمختلف درجات الإصابة، يوم ١٤ من ذات الشهر وبعد مظاهرات حي صلاح الدين ومشاركتهم الفعالة في معالجة الجرحى وأثناء مغادرتهم الحي يحدث بما لم يكن بالحسبان، تم توقيفهم من قبل حاجز تابع للمخابرات الجوية واعتقالهم فور ضبط الحقائب الإسعافية بحوزتهم وكان محمد قد غادرهم قبلها لحظات، انتشر الخبر بين أعضاء فريق المستقبل، اتخذوا الإجراءات الضرورية في التخفي والابتعاد عن منازلهم وتوقيف النشاط على وسائل التواصل الاجتماعي تخوفاً من الاعتراف المحتمل اثناء التحقيق مع زملائهم وخاصة في أكثر فروع الأمن وحشية وإجراماً.

بعد عدة أيام عُثر على سيارتهم بطريق المحلق بالقرب من فرع المخابرات الجوية وبداخلها ثلاث جثث متفحمة، تم نقلهم فوراً للطبابة الشرعية وتعرف أصدقائهم عليهم بصعوبة، تم تنظيم

جنازة ضخمة تليق بالشهداء في مسجد آمنة بحي سيف الدولة، كانت صلاة الجنازة فتيلاً لاندلاع مظاهرات ضخمة من الجامع باتجاه أحياء حلب وخاصة إلى الجامعة، في الطريق حاول بعض المتظاهرين تحطيم مكاتب شركة الاتصالات في حي الفرقان، تصدى زملاؤهم لهم بأن هذه المنشآت هي ملك الشعب السوري، توقفت إحدى سيارات الأمن قبل ساحة الجامعة، رجمها المتظاهرون بالحجارة ففر عناصر الأمن، فقام المتظاهرون بتحطيمها ووصلوا لساحة الجامعة، كان يوماً عصيباً على أهالي حلب عامة وجامعة حلب خاصة، فقد بدأ طلابها يقدمون دماءهم ثمناً لحريتهم وكرامتهم، بذلك فقد فريق المستقبل أول زملاء لهم كشهداء وبدأت سلسلة تضحياتهم.

على إثر ذلك تمكنت هديل من مغادرة سوريا بعد اعتقالها للمرة الثانية والإفراج عنها، بمساعدة الجيش الحر تم إدخالها لتركيا ومنها التحقت بأحد مؤتمرات المعارضة التي عقدت بالقاهرة، شاركت بعض الفعاليات ونقلت صورة حقيقة عما يجري على الأرض، وتحدثت عن تجربتها بالاعتقال، ولم تكتفِ بذلك وبمساعدة رجال المعارضة المقيمين بالغرب وعلاقاتهم مع الأمم المتحدة استطاعت هديل أن تكون صوت الثوار الشباب في

مجلس حقوق الإنسان، وهي طالبة الأدب الإنكليزي والمتحدثة بطلاقة استطاعت أن تنقل صورة مشرفة للشباب السوري الثائر ضد نظام الأسد وتظهر الحقيقة التي حاول النظام جهده بتصويرها أنها عصابات مسلحة ومجموعات إرهابية وليست ثورة شعب، هديل المنتمية للطائفة المسيحية أظهرت كذب النظام بأنه يدافع عن الأقليات في وجه مسلحين طائفيين، وتحدثت عن اعتقال الفتيات وما يلاقونه من صنوف العذاب والإهانة والاغتصاب الممنهج وبذلك حققت أولى الانتصارات الإعلامية على النظام وأظهرت صورة حقيقة واقعية عما يجري من أحداث الثورة السورية.

مع دخول الجيش الحر لأحياء حلب الشرقية مع بداية شهر رمضان التحق عادل بلواء التوحيد وأصبح المرافق الشخصي لحجي مارع الشهيد عبد القادر الصالح، وبذلك اختار أحد أعضاء فريق المستقبل طريقه وهو الطالب في كلية المعلوماتية مبتعداً عن حلمه بمستقبل مختلف.

من أهم نشاطات فريق المستقبل تنظيم مظاهرة جامع أبي حنيفة بحي الشهباء بالتعاون مع تنسيقيات جامعة المأمون والاتحاد، هذه المظاهرة الكبيرة التي انطلقت مع بداية شهر رمضان وبعد صلاة

التراويح، حيث نظمت صفوفها بشكل احترافي، مجموعة لكتابة الشعارات، مجموعة تصور وتوثق وتنقل بث مباشر، مجموعة للإسعاف والطوارئ، مجموعة لحمل الأعلام، وهكذا كانت مظاهرة مثالية في كل مراحلها، الشرفات اكتظت بساكنيها تشارك المتظاهرين بالشعارات والهتاف للحرية والكرامة، وكان من أقوى الهتافات حينها، (يا حلب ثوري ثوري وهزي القصر الجمهوري)، استمرت وقتاً طويلاً ولم يتمكن الأمن من الاقتراب منها حتى انفضت بشكل سلمي.

تتواصل الأحداث، ولم يؤثر استشهاد بعض أعضاء فريق المستقبل من عضد زملائهم بل زادهم إصراراً ومتابعة لخط الثورة المتصاعد، مع طرد طلاب المدينة الجامعية أصبح الكثير بلا سكن وخاصة الفتيات منهم، سارع فريق المستقبل بتشكيل مجموعة طوارئ وتواصلت مع كثير من أهالي حلب وتم فتح بيوت عديدة لطلاب المدينة الجامعية بعد أن انقطعت سبل الوصول إلى مدنهم وقراهم بسبب الحصار الذي بدأ يطبق على حلب، كان الفريق يؤمن المراتب والأغطية والسلل الغذائية من الجمعيات الخيرية ومنظمات المجتمع المدني وتوزيعها على النازحين في البيوت والمدارس والجوامع والكنائس، وبذلك أظهر المجتمع درجة

عالية من التكافل والتضامن وكان الشباب والشابات هم عماد هذا الحراك الاجتماعي الثوري.

شهيد جديد يسقط من فريق المستقبل، تصدى إبراهيم لمهمة نقل الأدوية والإسعافات الأولية من حلب الغربية إلى مشفى الشفاء بحلب الشرقية وذلك عبر معابر أحدثت وأصبح يستخدمها الثوار للعبور بين حلب المقسمة، قام بعمل بطولي واستطاع خلال يومين نقل حمولات كبيرة من هذه المواد عبر سيارة نقل صغيرة استعارها من أحد أقاربه، وفي آخر رحلة له وهو على أبواب المنطقة الشرقية يصاب برصاص قناص ويستشهد على الفور بعد أن أدى آخر مهمة له مع فريق المستقبل،وأصبح عضواً في فريق الشهداء.

يدخل عام ٢٠١٣ بما يحمله من مآسي جديدة على فريق المستقبل، صباح أول يوم امتحانات الجامعة تتجه ربى لكليتها وتتقابل مع مهند وريان عند باب كلية الهندسة الكهربائية، تلقي عليهم التحية وتطمئن عن أخبارهم واستعدادهم للامتحانات، مهند ليس لديه امتحان اليوم، هو حضر لاستلام بعض الأوراق لإحدى مواده، ريان كانت في طريقها للعودة بعد أن استلمت جدول الامتحان الخاص بها، تحدثوا قليلاً قررت ريان العودة

للبيت، يطلب منها مهند انتظاره كي يرافقها في طريقهم للبيت ولكن سيذهب لكلية العمارة كي يصطحب شقيقته بعد انتهاء امتحانها، وافقت ريان وودعتهم ربى واتجهت لقاعة امتحانها.

في الساعة الواحدة وأثناء دخول ريان ومهند لكلية العمارة تسقط أولى صواريخ طائرة تابعة للنظام في قصف متعمد لجامعة حلب ويتبعها صاروخاً ثانياً يسقط على السكن الجامعي أمام كلية العمارة، تخرج أخت مهند من كليتها مذعورة وباقي طلاب الكلية على إثر القصف لتجد جثة أخيها ملقاة أمام درج كليتها، تبدأ بالصراخ والعويل وفرق الإسعاف تنقل المصابين إلى المستشفيات، ريان لم تعد إلى البيت يومها، خرج إخوتها للبحث عليها في أرجاء حلب، بالنهاية وجدوا جثتها في مشفى الكندي، وقد حدثهم أحد المسعفين أنها وصلت للمشفى وهي على قيد الحياة لكن بإصابة بليغة في البطن وبقيت تنزف حتى فارقت الحياة.

انتشر الخبر بين فريق المستقبل، توجهوا لبيت جد ريان حيث وصل جثمانها وبدأت مراسم التشيع إلى مثواها الأخير، وشاءت الأقدار أن يخصص قبران متجاوران لكل من مهند وريان وتمت مراسم الدفن لهما وكأن الجارين في السكن رفضا الافتراق حتى في الممات.

بدأ فريق المستقبل يفقد أعضاءه الواحد تلو الآخر، وكان آخرهم كرم، بعد أيام من رحيل مهند وريان يوقفه حاجز للمخابرات الجوية في منطقة الجميلية هو وأحد أصدقائه، ويتم اعتقاله وتختفي أخباره، بعد أيام تقع مجزرة النهر، وبدأت المأساة تتكشف حينها حيث وصلت عدد الجثث في اليومين الأولين لأكثر من ١٨٠ شهيداً، حتى انتهى الرقم لأكثر من ٢٢٠ شهيداً خلال الأيام التالية، تم توثيق كل الشهداء بالصور مع وضع أرقام للتعرف عليهم فيما بعد كون جميع الشهداء لا يحملون أي وثائق تثبت هويتهم، تم التعرف على البعض والغالبية العظمى لم يتم ذلك وعلى الأغلب لوجود ذويهم في المنطقة الغربية من حلب كون كل الشهداء تم توقيفهم من قبل النظام وتم رميهم في مجرى نهر قويق وفتح الماء لتنقل الجثث للمنطقة المحررة لترهيب أهل حلب على الجانبين.

يشك فريق المستقبل بأن كرم كان من ضمن هؤلاء الشهداء، إحدى الصور لشاب يلبس بلوزة حمراء ولكن معالم الوجه غير واضحة بسبب وجود طلق ناري في الرأس ما أدى لتشوه كبير منع التعرف عليه، بعد كل هذه المدة لم يعد يعرف أي خبر عن كرم بعد البحث من قبل أهله على طول سوريا وعرضها دون طائل.

هنا شعر البقية المتبقية من فريق المستقبل أنهم لن يستطيعوا الاستمرار تحت هذا الإجرام والحصار والمقتلة المنظمة في حق الثوار.

فراس الطالب في المعهد الطبي يخرج من حلب مودعاً ما تبقى من زملائه ويلتحق بإحدى المنظمات الإنسانية في تركيا ويعمل ضمن فريق إغاثي مهمته تأمين المرضى والمصابين من السوريين في مستشفيات تركيا ومتابعة حالتهم الصحية والسهر على تأمين حاجياتهم المختلفة وجمع التبرعات لهذه الجمعية واستمرت على عملها طوال هذه السنوات.

ربى وتوليب ترافقوا بالخروج من حلب عبر الريف المحرر ودخلوا تركيا بجواز سفر واحد مستغلين تغاضي ضباط الأمن التركي عن مثل هذه الحالات الإنسانية، توليب تلتحق بإحدى محطات الإذاعية التابعة للثورة وأصبحت ذا وجه إعلامي مميز يساند الثورة السورية وتنتقل لاحقاً لإحدى المحطات التلفزيونية الثورية وتتابع مسيرتها التي اختارتها بعيداً عما خططت له من مستقبل.

ربى تعمل مع إحدى المنظمات الإنسانية المتخصصة في إنشاء وتشغيل المشافي في سوريا المحررة وتغير من دراستها الجامعية

التي بدأتها في حلب وبذلك تتغير خطة مستقبلها التي خططت له منذ اليوم الأول.

إلهام لم يتغير مصيرها عن باقي فريق المستقبل، خرجت إلى تركيا وهي المنفذ الوحيد لشمال سوريا وعملت أيضاً في المجال الطبي مع إحدى المنظمات في تركيا، مع موجة الهجرة باتجاه أوروبا ركبت البحر وانتقلت من اليونان واستقرت في ألمانيا وهي تعمل ناشطة سياسية تدعم ثورتها بكل ما تحمل من عزم وقوة وإصرار.

هذه قصة فريق المستقبل، بل هي قصة شعب كامل، بل قصة شباب هم أبناء وأحفاد من ثار على نظام الظلم والقمع والإجرام منذ ثمانيات القرن الماضي وحملوا الراية منهم وانتفضوا في وجه نفس النظام عام ٢٠١١ وبذلك أكملوا المسيرة واختاروا لأنفسهم نفس الطريق الذي سار عليه آباؤهم وأجدادهم وعلى نفس المبادئ التي لم تتغير طوال خمسين عاماً، الحرية والكرامة وحقوق الإنسان وحرية الأحزاب والإعلام والقضاء العادل، وهذا أكبر دليل أن الثورات لا تنطفئ ولا تتراجع بل تنتقل من حال إلى حال ومن جبهة إلى أخرى ومن جيل إلى جيل حتى تحقق النصر في النهاية مهما طال الزمن، عندئذ يستطيع جيل الشباب أن يحقق بيده مستقبلهم.

هيام

صعدت هيام حافلة الترحيل الأخضر وبرفقتها إخوتها الثلاثة، وهم يحملون ما تبقى لهم من أثاث رث، هو كل ما بقي من متاع الدنيا، جلست في نهاية الحافلة تنتظر التحرك للشمال السوري. تتابع باقي الوجوه المنهكة لرفاق الرحلة وقد قرروا الرحيل أيضاً تاركين بيوتهم ومحالهم وذكرياتهم من خلفهم بعد معاناة مع الحصار والتجويع والقصف والدمار الذي لازمهم على مدى ست سنوات منذ التحاق الغوطة بالثورة،وكانت من أوائل المناطق الخارجة عن سلطة النظام، هيام فقدت أبويها في القصف الكيماوي على دوما صيف عام ٢٠١٣، ليلتها نامت الأسرة على سطح بيتهم مثل كل سكان البلدة وهي عادة أهلها في أيام الصيف الحارة خاصة مع افتقاد الكهرباء، صحوا على صوت سكان الحي وهم يصرخون كيماوي... كيماوي، بدؤوا في

النزول للطابق السفلي، تلقفتهم أيدي جيرانهم وأخرجوا الأطفال سريعًا واتجهوا بهم لإحدى المستشفيات القريبة، في هذا الوضع تفقدت هيام أبويها فلم تجدهم، عادت للمستشفى حيث إخوتها الصغار تحت الرعاية، وهم بوضع لا بأس به، مساءً وبعد رحلة بين بيتها وأماكن تجمع الشهداء، رأت جثة أبيها ملفوفة بإحدى البطانيات قرب بيتهم، واليوم التالي استعادت جثة والدتها من أحد النقط الطبية، تم دفنهم في مدافن خاصة بشهداء ذلك اليوم، فجأة أصبحت هيام مسؤولة عن إخوتها وهي لم تتجاوز العشرين من عمرها، والآن تستعد للرحيل من مسقط رأسها كما يحدث في معظم المناطق المحررة التي ستعود الآن لسيطرة النظام باتجاه الشمال، قطع شريط ذكرياتها صوت محرك الحافلة وهي تتحرك وتبدأ رحلة الشتات الذي أصبح سمة مرافقة للسوريين.

استغرقت رحلتها أكثر من ٢٤ ساعة حتى وصلت لبلدة ترمانين في الريف الشمالي، هي لم تختر مقصدها بل سارت مع الركب مسّلمة الأمر للقدر، بدأت البحث عن غرفة تقيهم شبح التشرد وبقدر ما تملك من مال ضئيل هو نتيجة بيعها لأثاث بيتهم اختارت ما يناسبها وأصبحت وإخوتها أخيراً في مكان آمن، الغرفة هي جزء من بيت أبي حسام أراد أن يعين بها من وصل لبلدتهم من

المهجرين مقابل أجرة رمزية تعينه على صعاب الحياة، ويملك بقالة صغيرة بقرب بيته اعتمدت عليها هيام في شراء ما تجده من مواد غذائية ضرورية، وبسرعة أصبحت هذه العائلة المنكوبة جزءاً من عائلة أبي حسام ووجدت فيهم خير معين في حياتها الجديدة.

لم يدم طويلاً الأمر حتى استطاعت الحصول على عمل بسيط في إحدى المنظمات التي تعتني بالسيدات لتعبئة المواد الغذائية المصنعة بأيد محلية وبذلك أمنت قوتها وقوت إخوتها، ومضت بها الأيام وبدأت تعتاد نمط حياتها الجديدة.

دخلت بقالة أبي حسام عند عودتها من عملها لتتسوق بعض حاجياتها، عند المغادرة تتعثر بالخروج وسقطت أرضاً، تحاول النهوض فترى من يمسك يدها ويعينها في التقاط حاجياتها، تنظر لتجد شاب ذو حيوية وقوة يبتسم لها ويقول بسيطة إن شاء الله ما في أذى، تشكره وتنفض الغبار عن ملابسها وتهم بالخروج فتسمع صوت أبا حسام يقول لها، هاد ابن أخي باسل هو معّلم مدرسة، وهذه هيام جارتنا الجديدة يا باسل، تنظر في عينيه فتجد نظرة الإعجاب، وابتسامة من وجه يحمل كل معاني الرجولة، تطرق رأسها وهي تغادر ونظرات باسل تلاحقها حتى اطمأن عليها بدخولها غرفتها.

لـم تفـارق باسـل صـورة هيـام، هـذا الوجـه الجميـل بتقاسـيمه الناعمـة، والعيـون العسـلية والأهـداب القويـة كالرمـاح التـي أصابـت قلبـه، ولـون شـعرها الكسـتنائي الـذي يحجبـه جزئيـاً منديـل صغيـر أحمـر اللـون يضفـي طفولـة علـى ملامحهـا، بـدأ في الـتردد كثيـراً علـى بقالـة عمـه عسـى أن يتمكـن مـن لقائهـا مـرة أخـرى، والعـم أبـو حسـام يلاحـظ ذلـك علـى ابـن أخيـه ويبتسـم عندمـا يـبرر باسـل لعمـه حضـوره بحجـة مسـاعدته في المحـل الـذي لا يحتمـل سـوى شـخص واحـد، لكـن لا بـأس فهـو مرحـب بـه في أي وقـت.

هيـام لـم تنـس هـذه اللحظـة التـي جمعتهـا بباسـل، كأنـه قـدر أتاهـا في لحظـة هـي بأشـد الحاجـة لمثلـه يقـف بجانبهـا ويعطيهـا اهتمامـه بـل وحبـه، لـم تسـتطع أن تخفـي ذلـك عـن الأعيـن، ولـم تجـد إلا أم حسـام لتستفسـر عـن هـذا الشـاب الـذي شـغلها تفكيـراً، فجـاء الـرد وعرفـت عنـه مـا يشـفي فضولهـا، وكونـت صـورة عنـه، فكمـا عرفـت مـن أبـي حسـام هـو مـدرس في إحـدى المـدارس المجـاورة ويعيـش مـع أبيـه وحيـداً بعـد فقـد أمـه منـذ زمـن بعيـد، أبـوه الـذي يملـك قطعـة أرض صغيـرة يؤجرهـا ويسـتفيد مـن ريعهـا في تدبيـر معيشـته، باسـل بمـا سـمعته عـن نبلـه وأخلاقـه وتفانيـه في عملـه، حتـى تطوعـه في تعليـم أبنـاء بلدتـه بالمجـان خاصـة في هـذه الظـروف الصعبـة التـي تعيشـها

معظم المناطق الخارجة عن قبضة النظام، باسل هذا أصبح فارس أحلامها وتتمنى اللحظة التي تلتقي به مرة أخرى، فقد تملك حبه قلبها من أول نظرة.

لم تكن مشاعر باسل أقل لهيب من مشاعر هيام، كان يختلق الأعذار كي يزور بيت عمه، يسأل عنها وعن أحوالها، كان يعتمد على عمه وامرأة عمه في تتبع أخبارها، وعندما عرف كامل وضعها تطوع في أن يعطي الدروس لإخوتها الأيتام فهم بحاجة لمتابعة تحصيلهم حتى وعد أن يضمهم إلى صفوف مدرسته، وفعلاً تحمس وعرض الأمر على عمه أبي حسام، وكون حاله لم يعد يخفى على أحد وافق عمه على عرضه ووعده في أخذ موافقة هيام، زارها أبو حسام مع زوجته وأخبرها أن تعدّ نفسها مسؤولة منهم وأنها أصبحت مثل ابنتهم التي افتقدنها بعد رحيلها مع زوجها وأولادها إلى عمّان بعد اندلاع الثورة وملاحقة النظام لزوجها ومحاولة قتله أو اعتقاله، والآن هي حلت محلها، وعرض عليها ما اقترحه ابن أخيه وأنه لم يوافق لولا أن باسل يُعتبر من خيرة الشباب ديناً وخلقاً، وستكون أم حسام حاضرة أثناء تواجده بالبيت كي تطمئن أكثر، لاقى عرضه قبولاً لدى هيام ففيه فائدة كبيرة لإخوتها، وفرصة لها للتقرب أكثر والتعرف عليه بعد أن طرق قلبها منذ أول لقاء.

فعلاً انتظم باسل في مبادرته، ووضع كل جهده في تعليم إخوة هيام، وأحضر لهم الكتب والكراسات اللازمة، يبدأ عمله في تفان وكيف لا فهم إخوة حبيبة قلبه، هي تجلس في زاوية الغرفة بوجود أم حسام، تراقب عن بعد بعيون متلهفة، هو يحاول استراق النظرة بين فينة وأخرى، كانت أم حسام تترك الغرفة لإحضار الشاي كفرصة لهما للتحدث والتعارف، كان يبادرها بالسلام والسؤال عن أحوالها وعملها وتجيبه بخجل ودلال، سارت الأمور على هذا المنوال، وشعر كليهما بانسجام وتفاهم وقبل ذلك الحب.

دخل مرة باسل على دكان عمه وسحب كرسي وجلس بجانبه، أقفل أبا حسام دفتر الديون وقال له هات ما عندك، نظر باسل في استغراب وقال لعمه وما أدراك أن لدي شيئاً أقوله، نظر أبي حسام نظرة خبث وقال علي يا ابن أخي، حتى أعرف الموضوع الذي جئت من أجله، قال باسل إلى هذه الدرجة أنا مكشوف، قال نعم وموضوع هيام هو ما جئت إليه الآن، أجاب باسل نعم وأرغب في مفاتحتك لخطبتها، فأنت ولي أمرها الآن، هز رأسه أبا حسام وقال صدقت يا ولدي، أنت شاب تستحق كل خير وهي فتاة ما وجدنا منها ما يعيب، لو كان الأمر لي فأنا موافق، ولكن يجب سؤالها، قال حسام بحماسة، إنها موافقة يا عمي، قال له الجواب

عندها وليس عندك يا شب، سأدع إمرأة عمك تسألها ونخبرك بالنتيجة أيها العاشق الولهان.

فعلاً تحدثت أم حسام مع هيام في الموضوع، أطرقت خجلاً وقالت: لا أعرف، هو ابن أخيكم وتعرفنه أكثر مني، وأنا بينكم منذ مدة وعرفتم عني كل شيء، فإذا وجدتم الأمر في مصلحتي ومصلحته، فلنتوكل على الله، زُف الخبر لباسل، فأسرع في الحضور مع والده، وتقدم لعمه بطلب يدها، وافقت هيام والفرحة تغمر قلبها، اشترى خاتمين وتمت خطبة متواضعة بعدد محدود من الأهل فظروف الوطن لا تسمح بالبذخ والتظاهر.

أصبح ظهورهما أمام أعين الناس عادي ومشروع، لم تكن مشاوريهم كثيرة فهي تقتصر على مرافقة هيام إلى الجمعية مقر عملها، أو الجلوس أمام بقالة عمه بقرب منزلها، أو مشوار مع إخوتها لإحدى الحدائق القريبة، هو يحدثها عن حياته ومعاناته بفقدان الأم وهو صغيراً، وهي تحكي له عن أحلامها في مستقبل الأيام، ويخططون معاً لحياتهم القادمة، ويغشى علاقتهم التفاهم والحب.

كونَ باسل رجلٌ يشعر بالمسؤولية ومبادر فقد أخذ على نفسه عهداً أن يكون المعيل لإخوة هيام، وفعلاً بدأ يغدق عليهم الهدايا

ويشتري لهم ما يشتهون عليه، وهي تتحرج من هذا الوضع، وتعتبر أن إخوتها من مسؤوليتها هي، وتحتج بنعومة على باسل وتطلب منه أن يوفر ماله فسيحتاجه في بناء بيت الزوجية، وهي بما تحصله من عملها يكفيها ويكفي أسرتها الصغيرة، ويكفي أنه يفني وقته في تدريسهم بالبيت والمدرسة ويؤمن لهم دفاترهم وأقلامهم، واعتبرت ذلك توزيع للأدوار بينهما، لكنه يرفض بإصرار ويعتبر ذلك من مكملات رجولته وشهامته، وكانت تقدر ذلك كثيراً، وتحمد الله بأن أنعم عليها بهذا الرجل الذي أنقذها ذات مرة من عثرتها، يُعتبر هذا الأمر هو الخلاف الوحيد بينهما، وأصبح يؤثر على التفاهم بينهما، وطلبت التدخل من أبي حسام كي يضع حداً لهذا الوضع، حاول معه ولكن أصر على موقفه ولا مجال للتراجع عن هذا الموقف، وهذا دليل واضح عن مدى حبه لهيام واستعداده لعمل كل ما يسعدها ويجعلها مطمئنة، لم تفلح في مسعاها واستسلمت للوضع على مضض.

استمرت علاقتهما على هذا المنوال، وهم يخططون للخطوة القادمة، أحست أن الأمر مبكراً نوعاً ما للزواج لا سيما إخوتها سيحتاجون كثيراً لرعايتها واهتمامها، وليس من المعقول أن تجعل من هذا الرجل الذي أحبها مسؤولاً عن أسرة قبل أن يكّون أسرته

الخاصة، والوضع الاقتصادي لا يتحمل كل هذا العبء ففي النهاية دخله بسيط ومحدود وكذلك هي، وعملها أيضاً غير مضمون الاستمرارية به، صحيح أن منزل أهله سيكون هو منزل الزوجية، لكن الحياة ليست بهذه السهولة، كأن الانجراف خلف المشاعر والأحاسيس أخفى عليهما حقيقة الواقع والمصاعب المادية التي ستواجه حياتهم القادمة، هو يخفف عنها هذا الشعور بإمكانية العمل بوظيفة أخرى إلى جانب مهنة التدريس، قد لا تكون متاحة هذه الأحلام في وضع اقتصادي مزري في منطقة خارج حكم النظام وحصار ومعارك كر وفر بين المعارضة المدعومة من الحكومة التركية والنظام المدعوم من روسيا وإيران في وضع لا يسمح بالسفر أيضاً للعمل في دول مجاورة، ولا مشاريع تمكنهم من تطوير ذاتهم وزيادة دخلهم، في الحقيقة هم في قلب حرب قد لا تمكنهم من تحقيق أبسط أحلامهم.

في مساء أحد الأيام وهو في زيارة لبيت عمه حيث لقائهم يتم معظم الأحيان في حضورهم، طلبت منه التحدث على انفراد، قال لها ما الأمر يا هيام، قالت له كمْ تحبني يا باسل، ما مقدار حبك لي، أجابها وهل تشكّين في ذلك، أجابت لا، لكن أريد أن أعرف أن حبك سيمكنك من التضحية لأجلي، ماذا حدث يا هيام، ما هي

التضحية التي تطلبينها مني؟ ردي أرجوك، قالت: إن كنت تريد لي الراحة فيجب أن توافق على فسخ خطبتنا.

ــ معقول هذا الذي تقولينه يا حبيبتي، تطلبين الفراق لأثبت لك حبي ومقدار تضحيتي، لماذا؟ هل هجرك وبعدك سيحقق الراحة لك، ما هذا الهراء، كوني صريحة معي أرجوكِ، ما الأمر.

قالت: بصراحة هناك أحد الممولين الذي يدعم مشروعنا ويشرف على تنفيذه وهو رجل طيب ومقتدر ومستعد أن يؤمن لي حياة سهلة ميسرة لي ولإخوتي، سأكون بمأمن وبحبوة من العيش، قد لا أجد الحب الذي وجدته معك، الحب الذي خطفني من حياة الخوف والبؤس والضنك، وجعلني أنظر للحياة بمنظار مختلف، إلا أن الواقع الآن مختلف يا باسل، وضعنا سيزيد من بؤسنا وسيتعب كلانا، وهذه فرصة لإخوتي أن ينعموا نوعاً ما بحياة يستحققنه وأنا المسؤولة عنهم ومن واجبي أن أقدم لهم أفضل ما يحتاجون، أرجوك إن كنت تحبني دعني أرحل عن حياتك، وعسى الله أن يمنحك من تستحقك وتستحق حبك الكبير، خرج غاضباً دون أن يجيب عن هذه الترهات، وهي عادت أدراجها إلى غرفتها، تبكي بحرقة على ما آل إليه حال باسل والصدمة التي سببتها له،

وتمنت لو لم تقابله في حياتها وتقع في شباك حبه وتعذبه الآن وهو لا يستحق منها كل هذا، بكاءها الذي جعل إخوتها يلتفون حولها ويبكون بحرقة على حال أختهم وهم لا يعرفون السبب، ولا يدرون أن أختهم اتخذتهم مبرراً لفسخ خطبتها من باسل.

تدخل أبو حسام وأم حسام وحاولوا أن يثنوا هيام عن قرارها، لكنها أصرت على موقفها في وضع غير مفهوم للجميع، وسؤال لا إجابة له، هل مستعدة هيام هكذا تضحية من أجل إخوتها، وتدوس على قلبها وتقضي بقية حياتها في تعاسة وهي تبتعد عمّن اختاره قلبها واختارته بحرية تامة، لكن بالنهاية لا يمكن لباسل أن يكون في هذا الموقف وهو الرجل الشهم الذي لا يقبل أن يرتبط بمن اختارت غيره، أعادت له خاتم الخطبة في موقف مهيب، ترتجف أمامه ولا تقدر على النظر في عينيه، دموعها تسقط كحبات المطر على كفيها حيث تحمل علبة المحابس وهي تعيدها لحبيب قلبها وفارس أحلامها الذي توشك على فقدانه إلى الأبد، أخذ باسل العلبة المخملية الحمراء، حاول أن ينظر في عينيها علّه يحظى بآخر نظرة، قد يتمكن خلالها أن يثنيها عن قرارها، لكن لم يتمكن من ذلك، وغادر مسرعاً وسط ذهول الجميع وحزن إخوتها على فقدان مدرسهم وخطيب أختهم وزوجها المستقبلي وهم الذين أحبوه ووثقوا به واعتادوا عليه، لكن الآن أصبحوا كاليتامى من جديد.

أبو حسام كان على درجة عالية من الغضب وخيبة الأمل، هو الذي اعتبرها مثل ابنته وعاملها على هذا الأساس وكانت موافقته على الخطبة سبباً في إتمامها بسرعة قد يكون المطلوب حينها التأني والتروي، طلبها واستمع إليها عله يفك لغز هذا الموضوع، لكنه لم يجد ما يشفي غليله ويجيب عن أسئلته، قال أخيراً كَوني ولي أمرك يا هيام بالرغم ما حدث فمن المفروض أن يحضر هذا العريس الجديد ويطلبك مني، ويجب الاستفسار عنه والسؤال عليه كما هو العرف، قالت لن يحتاج الموضوع كل هذا، سيكون زواجاً سريعاً ودون خطبة عندما يكون جاهزاً سأغادر معه فوراً، قال لها إذا الموضوع انتهى يا هيام قالت نعم ودمعة عينها تسبق صوتها وخرجت مسرعة وتركته في حيرة من أمره.

باسل أمضى أياماً سوداء تبعت نهاية حلم جميل عاشه وكل أمل في المستقبل مع من أحبها من كل قلبه، أصبح كثير الشرود، قليل الحديث، يسير هائم على وجهه، أهمل مدرسته، تخلى على طلابه، وبدا وكأن نهاية العالم قد اقتربت، عمه يحدثه وينهاه عما يقدم عليه من انتحار معنوي، وهذه ليست النهاية، وكثيراً ما تحدث مثل هذه الحالات وكما يقولون اشكر الله حدث ذلك وأنت على البر، لكن بدلاً من ذلك اتخذ باسل قراراً أراد أن

يخبر عمه به، قد قرر الرحيل إلى تركيا، وقد أعد العدة مع أحد المهربين سيمكنه من عبور الحدود، بعدما أغلقتها تركيا في وجه الهجرة من سوريا، قال له أبو حسام هل هذا معقول، هل تترك بيتك ووالدك وعملك وطلابك من أجل فتاة لا تستحقك، ما هذا الجنون، إلا أن قرار باسل كان نهائياً، وأنهى النقاش بكلمة لا تزال في ذاكرة أبي حسام، لن أعيش في مكان واحد يضمني بهيام لن أتنفس نفس الهواء الذي تتنفس هيام.

رحل حسام، أغلقت هيام باب بيتها على نفسها، ونادراً ما رآها الناس، حتى إذا أرادت أن تشتري من بقالة أبو حسام أو تدفع له أجرة الغرفة ترسل أحد اخوتها نيابة عنها، كي لا ترى نظرات الغضب أو العتب واللوم في عيون من فتحوا لها بيتهم وقلوبهم، وصل حسام إلى أنطاكية وأبلغ أهله بذلك، وأنه موعود بالحصول على وظيفة مدرس في إحدى المدارس التي توظف السوريين وفق برنامج معتمد من الاتحاد الأوروبي لتعيينهم في المدارس التركية ليكونوا صلة الوصل بين الطلاب السوريين وفريق المدرسين الأتراك.

مرت الأيام والشهور، لا تم زواج هيام من العريس الموعود، ولا هي غادرت ترمانين كما هو متوقع مع انتهاء قصتها مع باسل،

لا بد من أن هناك شيئًا ما غير واضح وغير مفهوم، فقد توقع أبو حسام أن يتم ذلك بسرعة كما أخبرته هيام بذلك، فقرر أن يستفسر عن الأمر، انتظر رجوعها من عملها ووقف قرب غرفتها وهي التي تتجنب المرور أمام محله منذ ذلك اليوم، وقبل أن تدخل بيتها قال لها هيام، ابنتي هيام، أريد التحدث إليك، أنا منتظر في المحل، لا تتأخري، لحقت به وهي مترددة، خطوة تقدمها وخطوة ترجعها، لكن لا مفر، اللحظة التي لا مفر منها قد حانت، دخلت وجلست إلى جانب أبي حسام وهي مطرقة النظر إلى الأرض، لاحظ شحوب وجهها وذبول عينيها وانكسارها، لم يشاهدها على هذه الحالة حتى عندما وصلت مهاجرة من الغوطة، قولي يا هيام ماذا تم بموضوع زواجك، لم تتزوجي حتى الآن وقد أوهمتنا بأن ذلك سيكون سريعًا، لم تجب وبقيت على صمتها، لا حول ولا قوة إلا بالله قال أبو حسام وهو يفرك يديه، لم لا تجيبين يا ابنتي، رفعت عينيها وقالت: ما هي أخبار باسل، دُهش من سؤالها وهو الذي يسألها وليس العكس، وما شأن باسل الآن، قالت له أعدك أن أصارحك بكل شيء أذا أجبتني عن سؤالي أولاً وأن تقسم لي ثانيًا أن يكون ما أحدثك به سراً ولا يعلمه أحداً سواك حتى خالتي أم حسام، لم يعرف بما يجيب، أعادت عليه، قال حسنًا يا هيام،

لك ما أردت، أما حسام فقد غادر إلى تركيا ولا بد وأنك تعلمين، وقد وفقه الله في وظيفة تساعده على حياته الجديدة ونشعر الآن أنه بدأ يستعيد توازنه وأصبح مقبلاً على الحياة وبدأ بشق طريقه من جديد، تنهدت هيام وقالت الحمد لله الحمد لله، وبدت ابتسامة خجولة على ثغرها، أبو حسام يزداد حيرة واستغرابًا، حسنًا يا هيام الآن ما ردك على سؤالي، أين عريسك المنتظر وكما وعدتك سيكون سراً ما ستخبرينني به، قالت وعد الحر دين يا والدي، أسعدته هذه الكلمة منها وقال وعد يا ابنتي، صدقني ما أحببت ولم أحب ولن أحب إلا ابن أخيك باسل، رافق تلك الكلمات دموعها ما أشعره بصدق حديثها وازداد حيرة وتعجبًا، مصدقك يا هيام إذاً لماذا غيرت اتجاه قلبك لرجل آخر ولا تقولين لي من أجل اخوتي ومستقبلهم، قالت لا يوجد عريس ولا خطة للزواج أصلاً، ما هذه الألغاز قالها أبو حسام، هيام: أتذكر خلافنا من أجل موضوع الصرف على اخوتي وما أصبح يتحمله باسل من أجلنا وإصراري أن يقلع عن ذلك كي يتفرغ لتجهيز حياتنا، وإصراره هو على موقفه، قال نعم أذكر طبعًا، قالت هيام: شعرت أن باسل سيكون مظلومًا معي ومع أخوتي وهو يستحق غيري لا تكن عالة عليه ولا تقصم ظهره بمصاريف لا يقدر عليها ومن حق

نفسه عليه أن يجد من هي أخف حملاً مني، وتكون خالصة له ولا تحمل تبعات وأولاد يحمل همهم طوال حياته، فاخترعت تلك القصة كي يوافق على فسخ خطبتنا، ويتحرر من حملي وأحله من قيودي، قال أبو حسام وهل تظنين بذلك أنك أحسنت إليه، لقد تحطم باسل ولم يعد الرجل الذي نعرفه وتعرفينه، وهو لن يكون سعيد مع غيرك ولن تكوني سعيدة مع غيره، أجابته وهي تكرر عليه وعده الذي قطعه على نفسه، صدقني يا أبي، وأعاهدك على ذلك لن أكون لأحد غير باسل وهذا وعد أمام الله لك وسأكون زوجه في الجنة، سأكون له في الجنة، سالت دموع أبي حسام وهذه أول مرة ترى دموعه، فكررت عهدها وكررت عليه وعده لها بأن لا يعرف بهذا الأمر أحداً، أطرق رأسه مفكراً، مسح دموعه، وضع يده على رأسها وهو يكرر، عهداً عليَ يا هيام عهداً علي، غادرت وهي تشعر وكأن جبلاً قد انزاح عن صدرها، وشعر أبي حسام أن هذا الجبل أصبح على صدره.

مضت السنون وهيام كما هي ترعى إخوتها، وتغلق بابها عن أي طارق يطلب ودها، وكلما تقَدمَ أحدهم وحدث أبو حسام بموضوع خطبتها، يرى أن من واجبه إخبارها من باب الأمانة قد تكون غيرت عهدها ولن يلومها على ذلك فهي تستحق أيضاً

أن تعيش حياتها ومستقبلها، كانت تبتسم وتقول له أنسيت ما عاهدتك عليه يا أبي أنسيت، فيقول والله ما نسيت، ولكن من حقك بعد هذه السنين أن تغيري رأيك وتعدلي عن قرارك ولن ألومك أبداً، كانت تقول لا يمكن أن أنكث بعهدي أمام الله.

جاء فجر السادس من شباط عام ٢٠٢٣ ويحدث زلزال القرن وضرب جنوب تركيا وشمال سوريا، سقط البيت على هيام واختارها الله شهيدة الهدم، ويسقط البناء الذي يقطنه باسل في أنطاكية ويختاره الله شهيد الهدم أيضاً، انتشلوا هيام وشيع أبي حسام جثمانها إلى مثواه الأخير، ويستلم مكالمة من أحد أصدقاء باسل ليخبره بالفاجعة، وأنهم سيرسلون جثمانه إلى ترمانين ليدفن فيها، سقط أبو حسام أرضاً غير مصدق، غير مصدق ما سمعت أذناه، هل هذا قدر ابن أخيه أن يعود محمولاً على الأكتاف، ما هذا القدر الذي اختار وفاة هيام وباسل في نفس اللحظة، وهي التي عاهدت الله ألا تكون زوجة إلا لباسل في الجنة، فقد استجاب الله لدعائها ولبى لها طلبها، لا بد من أن تزف هيام إلى عريسها باسل في جنة الفردوس بعد أن عجزت الأرض يكون زفافهما على ثراها، أسرع وطلب قبراً بجانب قبر هيام ووضع عليه الشاهدة التي تحمل اسمه بانتظار وصول الجثمان، خرج إلى

مشارف ترمانين بعد أن عرف موعد وصول باسل، وأعلن بين الناس عرس باسل اليوم، دُهشَ أهل ترمانين وظنوا أن أبا حسام قد أصابته لوثة عقل من جراء الخبر، وفعلاً وصل النعش فحمله على كتفيه وهو يقول زفوا باسل إلى عروسه هيام، زفوا باسل إلى عروسه هيام، والناس بين مدهوش أو غير مصدق والبعض يبكي من عظم الموقف، وصلوا إلى (بيت) العروس والنساء يزغردن والرجال يرددوا عريس الزين يتهنا، وأنزلوه إلى جوار قبر عروسه وأبي حسام يصيح وصل عريسك يا هيام وصل عريسك، صدقتِ وعدكِ وعهدكِ لله يا هيام فصدق الله وعده لك وجمعكما معاً في جنة الفردوس إن شاء الله.

المسعف

انتسب محمد لدورة تدريبية خاصة في التمريض والإسعاف لما وجد من أهمية لكل سوري أن يمتلك هذه المهارات على الأقل في الحدود الدنيا، فخلال السنوات العشر الماضية عانَى السوريون الكثير من ويلات الحرب والقصف والقتل من النظام الوحشي وشركائه في الإجرام، فوجد وكثير من أقرانه مدى الحاجة لهذه الخبرات كانت المأساة السورية تحتاجه مع ندرة الكوادر الطبية مقارنة مع ضخامة الحدث وكثرة الإصابات.

وجد ضالته في أحد مراكز التدريب بغازي عنتاب وهو الشاب الذي يشق طريقه في الحياة العملية إلى جانب تحصيله العلمي، بدأت التدريبات وكان الشاب الوحيد بين تسع من زميلات الدورة لهن نفس الهدف من هكذا تدريبات هامة، كان يدخل المركز وهو بأشد حالات الخجل ينتظر وحيداً لحين حضور المدرب عكس زميلاته حيث كان سرعة التعارف والاندماج بينهن.

انطلقت الدورة بشقيها العملي والنظري، كان من المثابرين المنتظمين والمتابعين بشغف والجاد في إتقان كل مفردات المنهاج كبقية زميلاته، واستمر الحال حتى أتى اليوم المشؤوم.

فجر الإثنين ٦-٢-٢٠٢٣ يضرب زلزالاً مدمراً جنوب تركيا وشمال سوريا، كان محمد مع اثنين من زملائه حسن وعماد في سكنهم بمدينة عنتاب، نجاهم الله من هذه اللحظة العصيبة ووجدوا أنفسهم يفترشون الشارع ويلتحفون السماء مع تساقط الثلوج والأمطار وبرد قارس مثلهم كبقية سكان المدينة الذين قضوا يومهم الأول مشردين وموزعين بين الأرصفة والمساجد والصالات الرياضية والحدائق وبدأت الحملة في نصب الخيام وتقديم الطعام واللباس لهؤلاء المشردين.

محمد وأصدقاءه عرفوا ما أصاب مدينة أنطاكية من دمار رهيب لم يروه في مدينتهم حيث تأثرها بالزلزال لا يذكر مقارنة ببقية مدن الجنوب التركي، قرر وبسرعة مع زملائه أن يتطوعوا في العمل الإغاثي والتوجه فوراً لأنطاكية للمساعدة وتقديم يد العون خاصة بعدما أصبح لديه المعرفة المبدئية في الإسعاف والتمريض وقد حان الوقت لتطبيق ما تعلمه في الأشهر الماضية،

فعلاً لم يتأخروا وكانوا في نفس اليوم مع الكثير من المتطوعين بين الأنقاض والدمار الذي أصاب المدينة وانضموا إلى الفرق الأخرى وباشروا عملهم دون تأخير.

الساعة السابعة مساء الإثنين يوم زلزال القرن يدخل وأصدقائه أحد المباني التي تحوي الكثير الكثير من العوائل والأطفال الذين نجوا ولجأوا هرباً من البرد وطلباً للأمن والطعام والدفء، يحمل محمد المساعدات ويوزعها على محتاجيها، فجأة وفي هزة ارتدادية قوية بدأ المبنى بالاهتزاز والتصدع وأخذت الجدران بالتكسر وصوت الهدم اختلط بصراخ الأطفال والنساء، وجد نفسه بقرب كنبة فارتمى بجانبها في آخر لحظة قبل سقوط السقف عليه وعلى زميليه وهم في الطابق الثالث من المبنى والآن لا حول لهم ولا قوة فقد نجوا من زلزال عنتاب حتى يصبحوا ضمن ضحايا أنطاكية.

لحظات مرت عصيبة على محمد وصديقيه، هو لا يستطيع تحريك إلا رأسه ويداه فقد حُشرت قدماه تماماً تحت الهدم، صديقه عماد بالقرب منه محشوراً أيضاً ويستنجد به، وصوت صديقة حسن يسمعه من بعيد يستنجد أيضاً، تغلب على الألم

الـذي يعـان منـه ومـد يديـه لعمـاد لسـحبه مـن الجـدار الـذي سـقط علـى ظهـره حيـث الضغـط الرهيـب الـذي يمنعـه مـن التنفـس بشـكل طبيعـي، نجـح بشـكل جزئـي وأصبـح بجانبـه ووجـد حاجتـه لتنفـس اصطناعـي، تذكـر مـا تعلمـه وبـدأ يجـري لـه الـلازم ويسـاعده في التقـاط أنفاسـه بيـن حيـن وآخـر بـكل مـا يملـك مـن قـوة وطاقـة التـي بـدأت تتلاشـى شـيئًا فشـيء، صـوت حسـن لا يـزال يسـمعه وهـو يسـتغيث بـه ولكـن لا مجـال لـه للتحـرك ولـو لبضعـة سـنتمترات، تذكـر أن موبايلـه في جيبـه، اسـترده فوجـده لا يـزال يعمـل، دخـل لتطبيـق خـاص لتحديـد مـكان تواجـد صاحـب الجهـاز وشـغله كـي يكـون معينـًا لفـرق الإنقـاذ للتعـرف علـى مكانهـم بالضبـط.

مـع مـرور الوقـت محمـد يسـاعد عمـاد بيـن حيـن وآخـر في التنفـس الصناعـي، ويسـمع صـوت حسـن يسـتنجد بـه ولا حيلـه لديـه لمـد يـد العـون لـه، هـو يفقـد التركيـز بيـن لحظـة وأخـرى حتـى غـاب عـن الوعـي تمامـًا.

بعـد ثمـاني سـاعات وصلـت فرقـة إنقـاذ التقطـت الإشـارة مـن موبايلـه الـذي حـدد موقعـه بالضبـط، تمكنـوا مـن انتشـاله وصديقـه عمـاد ونقلـوا إلـى أحـد المشـافي ودخلـوا غرفـة العنايـة المشـددة، يـوم

السبت بعد ستة أيام من الحادثة يستعيد محمد وعيه ويعرف أن عماد نجى أيضاً، وتلقى خبر استشهاد صديقه حسن والكثير من لجؤوا لهذا البناء.

خلال هذه الفترة ومع التواصل بأعضاء المتدربين بالدورة للاطمئنان عليهم وعلى أحوالهم أبلغت إحدى الطالبات أن محمد زميلهم قد استشهد بالزلزال مع أصدقاء له، كان الخبر محزناً للجميع وقد عرفوا محمد عن قرب ووجدوا منه الخلق الحسن والأدب الجم، وخلال أيام الدورة عندما يصعد لغرفة المدير ويستعير سجادة الصلاة كي يؤدي فريضته.

أسندت إدارة المركز الأمر لمدربتهم لمتابعته والتأكد من صحة الخبر وهي بدورها بدأت بالتواصل مع من تعرفهم من أصدقائه فلم تجد الجواب الشافي، فقد أصبح خط موبايله خارج الخدمة طوال هذه الفترة.

استمر الوضع حتى بداية شهر آذار، وصلت المدربة لغازي عنتاب ودخلت المركز وبشرت الجميع بأن محمد نجى والحمد لله وكان طوال هذه الفترة بالمستشفى حتى تماثل للشفاء التام، وقد تواصلت معه ووعدها بالحضور في اليوم التالي.

كان المدير يسير ذهاباً وإياباً في ردهات المجمع الذي يحوي المركز التدريبي بانتظار حضور محمد، استدار عائداً فوجد محمد يتجه له مع ابتسامة مشرقة، احتضنه وقبله وقال له حمداً لله على سلامتك ودخلا المكتب وأخذ يقص له ما حدث في هذا اليوم المشؤوم، قال له قد نجاك الله بحسنة من توجهت لهم في أنطاكية كي تمد لهم يد العون، وبحسنة صديقك عماد حيث بذلت جهدك كي تعينه على التنفس والبقاء على قيد الحياة بما أوتيت من قوة، قال للمدير متى سنعاود تدريباتنا على التمريض والإسعافات الأولية، ابتسم وقال له الأسبوع القادم بمشيئة الله.

سما

حلب، المدينة الأقدم في التاريخ، عاصمة الدولة الحمدانية، المدينة الثانية في الدولة العثمانية، المدينة الصناعية الأولى في سوريا، أكبر تعداداً سكانيًا، أكثر المدن المهملة والمهمشة في عهد نظام البعث وخاصة بعد وصول الأسد الأب إلى السلطة نهاية ١٩٧٠، رغم أنه درس في كليتها الجوية وعاش فيها ردحًا من الزمن، ألا أن كرهه لهذه المدينة كان واضحًا وخاصة كونها أولى المدن التي تمردت عليه من فترة السبعينيات مع طرح الدستور الدائم ورفضه من قبل الأوساط السياسية والعلمية والمهنية وفترة الثمانينيات وانتفاضتها الشهيرة في وجه نظامه القمعي السلطوي، وقد قدمت حلب طوال فترة حكم الأسد الأب الكثير من الشهداء والمعتقلين والمهجرين والمبعدين، وبالتالي لاقت من النظام أبشع أنواع الاضطهاد والتهميش وحتى المحاربة والتدمير الممنهج ولم

يختلف الوضع كثيراً في عهد الأسد الابن، والتاريخ يعيد نفسه حيث مكث بشار فترة من الزمن فيها بعد مقتل أخيه وبدأ أبيه يهيئه لمسك زمام الحكم من بعده حيث التحق بالكلية العسكرية وكان أثناءها يتجول في أسواقها ويتقرب من عوائلها ويظهر لهم المودة والاهتمام، وبالنهاية أكمل ما بدأه أبوه من تدمير لهذه المدينة العريقة وخاصة المدينة القديمة ويقدر حجم الدمار الذي أصابها ثلثا المدينة، ويقدر حجم السلاح الذي قصفت به حلب بعدة قنابل نووية التي دمرت هيروشيما.

وصلت وعد لحلب مع أسرتها وهي يافعة، تنحدر العائلة من مدينة مصياف، والتحقت بكلية التجارة وسارت في تحصيلها الجامعي في قسم التسويق وها هي أضحت في السنة النهائية على وشك التخرج، لكن ما حدث في هذا العام قد قلب حياتها رأساً على عقب، إنها الثورة السورية التي انطلقت شراراتها في درعا ربيع ٢٠١١ وانتشرت كالنار في الهشيم في باقي المحافظات السورية ولن تكون حلب بعيدة عن هذا الحراك خاصة أن لها الأسبقية في انتفاضة الثمانينيات وعانت وشقيقتها حماه في تلك الحقبة أكثر المدن السورية من التقتيل والتهجير والمجازر والدمار.

وعد لم تتأخر في الانخراط في الحراك الثوري في جامعة حلب، وكيف لا وهي ترى زملاءها في كل الكليات يشاركون باقي المحافظات في مظاهراتهم واحتجاجاتهم، وأصبحت جامعة حلب أيقونة من أيقونات الثورة السورية، حتى أطلق عليها جامعة الشهداء لكثرة ما قدمت من أبنائها على مذبح الحرية والكرامة.

وعد اهتمت في الجانب الإعلامي وكان لها دورٌ كبير في نقل الحراك السلمي في الجامعة خاصة وفي حلب عامة، تحمل موبايلها وترافق المظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات وتصور وتنقل إلى شبكة الإنترنت الوجه الحقيقي السلمي للثورة السورية، توثق سقوط الشهداء وترافق الجرحى إلى المشافي الميدانية، وحتى تقدم الدعم والمساندة لفرق الإسعاف التي كان معظمها من طلاب الجامعة المتطوعين ومن كل الكليات، أخذ طلاب كليات الطب على عاتقهم تدريب زملائهم من باقي الاختصاصات وشكلوا فرق تدخل وإخلاء سريع في أحياء حلب المنتفضة التي تنطلق منها المظاهرات واتخذوا من بيوتها مشافي ميدانية تتم معالجة المصابين فيها في شكل رائع من التكافل والتضامن بين أبناء حلب والمقيمين فيها.

وعـد اسـتطاعت أن تكـون مراسـلة للقنـاة الرابعـة الإخباريـة البريطانيـة وأصبـح لديهـا كاميـرا احترافيـة مكنتهـا علـى مـدار خمـس سـنوات مـن أن توثـق ٥٠٠ سـاعة مـن أحـداث الثـورة السـورية كالمجازر والتدمير والقتل والقصف والتهجير، فكان لدورها الأثر الكبيـر في مجريـات الأحـداث كمـا سـنتعرف عليهـا لاحقـاً.

وعـد تعرفـت علـى الكثيـر مـن الشـباب والشـابات المنخرطيـن في الثـورة وشـكلوا تنسـيقيات تقـوم بـكل مـا يمكـن القيـام بـه مـن الدعـم والمسـاندة فقـد تداخـل العمـل الإعلامـي مـع الإغاثـي مـع الإسـعافي، وتعرفـت حينئـذ علـى حمـزة الطبيـب الحديـث التخـرج من كليـة الطب والمتطـوع في فـرق الإسـعاف والمشـافي الميدانيـة في أحيـاء حلـب، وأصبحـت ترافـق هـذه الأنشـطة الطبيـة وتوثقهـا مـن ضمـن توثيقاتهـا الأخـرى، وباتـت قريبـة أكثـر مـن هـذه المجموعـات وخاصـة حمـزة.

تتطـور الأحـداث في مسـار الثـورة السـورية، وبـدأت الانشـقاقات في جسـم الجيـش السـوري، بعـد أن زج النظـام بهـذه المؤسسـة لمواجهـة الانتفاضـة السـلمية، حيـث رفـض جـزء كبيـر مـن الضبـاط وصـف الضبـاط والجنـود المشـاركة في قتـل إخوتهـم بالوطـن، فإمـا القتـل أو التصفيـة، لكنهـم اختـاروا الانشـقاق وتشـكيل أولـى كتائـب الضبـاط الأحـرار ومـن ثـم الجيـش الحـر.

وما أن أطل عام ٢٠١٢ حتى أصبح جزءاً من الثورة كفاح مسلح ضد الجيش الأسدي والميليشيات التي بدأت تتشكل لمساندة النظام وبدعم من حزب الله والأحزاب العراقية والإيرانية، واندلعت المواجهات على طول الأرض السورية وعرضها، كان ريف حلب أول من تخلص من السطوة الأسدية وأصبح محرراً بالكامل، وأصبح لواء التوحيد هو المسيطر عليه، ومع منتصف عام ٢٠١٢ ومع دخول شهر رمضان دخل الجيش الحر إلى حلب واحتل المنطقة الشرقية وانقسمت المدينة إلى قسمين، حرٌ خرج من يد بشار الأسد والآخر تحت سيطرته، وهنا أخذت الثورة في حلب منحى جديداً.

الكثير من نشطاء الثورة التحق بالقسم الشرقي من حلب، فقد أصبح العمل الثوري يأخذ شكل آخر في بيئة محررة وتحت سيطرة ثواراً مسلحين، وهذه حالة جديدة تعيشها حلب أول مرة، تنفس الناس نسيم الحرية التي انتظروها كثيراً، لكن النظام لن يترك الأمور هكذا.

وعد تغادر بيت الأهل وتحمل كاميرتها وتدخل حلب الشرقية تتابع عملها بنقل الحياة اليومية في جزء جديد وحالة فريدة لم

تعشـها وكل مـن يقطـن معهـا، وسـتكون التغطيـة الإعلاميـة مختلفـة لهـذا الجـزء الجديـد مـن حلـب وسـتكون التقاريـر الإعلاميـة الآن لهـا نكهـة خاصـة وصـورة جديـدة.

حمـزة لـن يـتردد في الانتقـال أيضـاً إلـى المنطقـة المحـررة، حتمـاً سـتكون الحاجـة لـه أكثـر في هـذا القسـم مـن المدينـة، فهـو الطبيـب المتمـرس الخبيـر في الحـالات الإسـعافية التـي تصيـب المتظاهريـن في المرحلـة الأولـى مـن الثـورة والآن سـتكون بشـكل مختلـف لاختـلاف الآلـة الحربيـة المسـتعملة، فمـن طلقـات الرصـاص التـي تصيـب المتظاهريـن إلـى الإصابـات الناتجـة الآن عـن مختلـف أنـواع الأسـلحة التـي توجـه لقاطنـي الجـزء المحـرر مـن حلـب، مـن الرصـاص إلـى الهـاون إلـى قذائـف الدبابـات إلـى صواريـخ سـكود والبراميـل المتفجـرة إلـى السـلاح الكيمـاوي الممثـل بغـاز الكلـور، كل هـذه الأسـلحة التـي مـن المفـترض اسـتعمالها لتحريـر الجـولان مـن المحتـل وليسـت لاسـتخدامها ضـد الشـعب الـذي خـرج يطلـب الحريـة والكرامـة.

اسـتطاع أن يؤثـث لمسـتشفى كامـل التجهيـزات في المنطقـة المحـررة وخاصـة بعـد أن أصبحـت حـدود حلـب الشـرقية متصلـة مباشـرة مـع

الحدود التركية التي أصبحت المصدر الرئيسي لكل ما يحتاجه الجزء المحرر من شمال سوريا من التجهيزات الطبية والغذائية والتموينية، وقد ساعده مجموعة من الأطباء في مشروعه وأصبحت لحلب الشرقية عدة مستشفيات فاق عددها الستة مستشفيات.

كانت وعد تباشر عملها في مدينتها الجديدة وخاصة التغطية الإعلامية لقناتها البريطانية مركزة نشاطها على المستشفيات أثناء عملها المعتاد إلى جانب إسعاف مصابي الحرب التي بدأها النظام على تلك المنطقة وازدياد القصف الهستيري المركز على سكان هذه المناطق.

عند هذه الخطوة التي خطاها حمزة كان طلب أهل خطيبته أن يعود لحلب لإتمام زواجه منها والتخلي عن دوره الذي اختاره إلى جانب أبناء مدينته المحررة، لكن شعوره بالواجب المناط به أكبر من أن يهجرهم ويتخلى عنهم، فكان قراره بالبقاء وإنهاء هذا الارتباط هو ما اتخذه أخيراً.

سارت الأمور مع وعد وحمزة في العمل سوية في حلب المحررة وكل في اختصاصه، وهذا لم يكن يفرقهم بل على العكس كان يقربهم أكثر فأكثر، فهو يقود فريقه الطبي في مشفاه الجديد

وقسم الإسعاف هو العصب الرئيسي لنشاطه، ووعد تحمل كاميرتها وتجوب شوارع حلب وحاراتها وتنقل الحياة اليومية لأهلها بتفاصيلها أثناء الهدوء وأثناء القصف والقتل والدمار، هنا نقلت صوراً حقيقية ومختلفة لما يمكن أن يسمى حرباً بكل ما تحمله من معنى، تقاريرها تصل للقناة الإخبارية الرابعة البريطانية بشكل متواصل، وقد تمت الإشادة بها لسلسلة تقاريرها المروعة والإنسانية داخل حلب والتي فازت بسببها بجائزة إيمي للشؤون الخارجية في جوائز الصحافة البريطانية، أصبحت مصممة على توثيق فظائع الحرب، فقد بقيت خلال الحصار المدمر ووثقت الخسائر الفادحة في الأرواح وأنتجت بعضاً من أكثر الصور التي لا تُنسى وأصبحت التقارير التي قدمتها لقناتها الرابعة حول الصراع هي أكثر المقالات مشاهدة في برنامج الأخبار البريطاني. حصلت تقاريرها على نصف مليار مشاهدة عبر الإنترنت وفازت بـ ٢٤ جائزة بما في ذلك جائزة إيمي الدولية لعام ٢٠١٦ لتغطية الأخبار العاجلة.

حمزة أصبح الناطق الرسمي الرئيسي في حلب الحرة عن القطاع الصحي وينقل للقنوات العالمية وإلى ممثلي الأمم المتحدة أخبار الفظائع والجرائم التي يرتكبها النظام ضد أبناء المناطق المحررة

عامة وحلب خاصة، ويرسل الإحصاءات عن أعداد القتلى والجرح والمعاقين التي تحدثها الهجمات البربرية من قبل نظام مجرم ضد شعب أعزل لا يملك سوى بندقية وبعض الأسلحة المتوسطة للدفاع عن أنفسهم وعن أهلهم.

القصف يتم بشكل يومي، يفقدون خلاله الكثير من الشهداء من الأطفال والنساء وقد تصل في بعض الأيام إلى مئات القتلى ودمار هائل في البنى التحتية مع حصار خانق، المجازر لا تتوقف، مع إطلالة ٢٠١٣ تظهر الجثث في مجرى نهر قويق، حيث ترمى جثث القتلى في حلب النظام لتصل إلى حلب المحررة وقد بلغت عدد الجثث أكثر من ٢٢٠ خلال أيام معدودة، تعمل وعد على توثيقها إعلاميًا وترسلها للعالم الخارجي لتعّرف المجتمع الدولي - الصامت على جرائم الأسد - على هول الحرب التي يشنها النظام على الشعب السوري الثائر.

في أحد الأيام يتعرض المستشفى إلى القصف ويتهدم جزء منه ويستشهد زملاء لحمزة ووعد من الكادر الطبي وكان ذلك له الأثر الأكبر عليهم، في يوم تال يشتد القصف وينقل المصابون إلى المشفى وهي تنقل الصور إلى قناتها ويستشهد العديد من الأطفال

أمام عينيها، تفقد أعصابها وتجهش بالبكاء، يفقد حمزة أعصابه، يصرخ في وجهها ويطلب منها أن تكون أقوى من ذلك، تخرج مسرعة من غرفة الإسعاف، وتلوذ بإحدى غرف المشفى، يشعر حمزة بوطأة الموقف على وعد، ينهي عمله ويتجه لغرفتها، يقول لها مرطب خاطرها، اعرفي يا وعد أنني أحبك، هل تتزوجيني يا وعد، وكونها تبادله نفس المشاعر، تقبل به زوجاً.

في تحد للحرب والقصف والدمار والموت تقيم وعد حفل زفافها على حمزة وسط زملائها وأصدقائها لتعكس مدى الإصرار على الحياة وعلى الحرية وعلى الكرامة رغم كل ما يحيط بهم من ظروف قد تمنع الكثير من متابعة حياتهم الطبيعية، لكن إرادة الحياة تتغلب على فرضية الموت.

تتخذ الأسرة الجديدة منزلاً مستقلاً تحوي حديقة يقوم حمزة بزراعة العديد من النباتات التي تشكل ثقافة خاصة لكثير من الأسر السورية والتي تمثل لهم نوعاً من النشاطات المحببة لرب الأسرة وتقليد ضروري خاصة في حالتهم التي تمثل تحدي المزيد من الموت بمزيد من الحياة.

وعد تفاجئ حمزة بخبر حملها وتوثق ذلك بكاميرتها التي باتت

ترافقها صباح مساء وقد سجلت طوال فترة تواجدها بحلب أكثر من ٥٠٠ ساعة وثائقية، تتابع حملها في مشفى زوجها وتضع ابنتها سما في يوم من أيام عام ٢٠١٥ وأيضاً توثق ولادتها واحتضانها لابنتها مع دموع الفرح حيناً ودموع الحزن والأسى حيناً آخر، هل هيِ في حالة معيشية طبيعية كي تحمل وتلد في ظل حصار وحرب ودمار وقتل، هل ستقدر سما هذا الوضع الذي جاءت بها للحياة وهل ستتفهم ذلك عندما تكبر وتعي الموقف، وستكون فخورة بما قام به أبواها في سبيل أن تعيش سما في وطن حر كريم.

بدأت حملة قصف عنيفة تستهدف مستشفيات حلب المحررة من النظام ومساعدة سلاح الجو الروسي الذي دخل إلى جانب النظام في حربه على شعبه، خلال نهاية ٢٠١٥ وعام ٢٠١٦ خرجت معظم المستشفيات عن الخدمة ولم يبق سوى مشفى حمزة يعمل بطاقة قصوى وعزيمة كبيرة خاصة مع اشتداد الحرب وارتفاع عدد الإصابات والدمار، ومع ذلك في ضربة كبيرة تعرض له المشفى خرج أخيراً عن الخدمة وتعرض لدمار كبير ولم يعد ينفع معه أي إصلاحات أو تشغيل، بالأثناء تبلغ وعد زوجها بحملها الجديد، وهو يبحث في المنطقة عن بناء جديد يمكن استخدامه كمشفى حتى عثر عليه وبدأ في تحضيرات تجهيزه.

هنا كان قرار دولي قد اتخذ بسقوط حلب الشرقية وتسليمها للنظام، لن ندخل في تفاصيل ذلك لكن المهم أنه ما تبقى من أهل حلب بدءوا يستعدون للرحيل وركوب الحافلات الخضر التي خصصت لهم عبر خطط ترحيل جماعي بعد معركة خاضها بعض المقاومين للدفاع عن مدينتهم رافضين الاتفاق بين الدول المتدخلة في الملف السوري وأبدوا بسالة وشجاعة في حربهم حتى قامت الطائرات الروسية في تدمير الحي بشكل كامل فوق رؤوس هؤلاء الشجعان.

أما حمزة ووعد ورفاقهم فقد حوصروا في بقعة صغيرة وأصبحت ميليشيات النظام السوري والإيراني على بعد شارع واحد من مقرهم، وكان لا بد من لا بد منه ألا وهو الرحيل القصري، فقد أسقط بيدهم ولم يعد القرار يعود لهم وقد أدوا واجبهم بكل إخلاص وتفانٍ وقد أزفت ساعة الرحيل.

سلمت لوائح الأسماء والخوف من الملاحقة من النظام لهما هو شاغلهم الآن، في ليلة ثلجية عاصفة تمكنت وعد وحمزة وسما من الخروج من الحصار سالمين وكانوا على بعد أمتار قليلة من رجال النظام، وصلوا سالمين مع رفاقهم إلى الحدود التركية،

عبروا الحدود وأصبحوا الآن في مأمن بعيد عن أيدي النظام الذي من المؤكد قد جاهد في الوصول لهم وإلقاء القبض عليهم لما شكل نشاطهما وكشف جرائم النظام على وسائل الإعلام العالمية حرج كبير وزيادة في الوثائق والحقائق التي تدينه وقد تكون في يوم من الأيام السبب في محاسبته على جرائمه التي لا تنتهي ضد شعب ذنبه الوحيد أنه طالب بالحرية والكرامة.

تبدأ الأسرة الصغيرة حياتها الجديدة في تركيا، لم يكن الأمر مريح لهم كثيراً خاصة أنهم ليسوا كغيرهم من اللاجئين، هم أشخاص كان لهم دور كبير في ثورة بلادهم، ولديهم ذكريات وتجارب ووثائق عن الحرب يمكن أن تكون سبباً رئيسياً في كشف كل الحقائق التي قد تغيب في دهاليز السياسة والمصالح الدائمة للدول المتداخلة في الملف السوري.

تضع وعد طفلتها الثانية وتسميها تيماء في أحد المشافي التركية، قبلها كانت وعد قد تواصلت مع القناة الرابعة الإخبارية البريطانية التي عملت مراسلة لها على مدى خمس سنوات كي تؤمن لها تأشيرة إلى بريطانيا، خاصة أنها تحمل خمسمائة ساعة مسجلة عن الثورة السورية ولديها مشروعها الخاص الذي تنوي إطلاقه وهي بحاجة للدعم والمساندة.

لـم تكـن الحيـاة في تركيـا جيـدة حتـى لـو كانـت بأمـان، تشـعر أنهـا محاصـرة بطريقـة مختلفة، حقـك في البقـاء وحقـك في المغـادرة وحقـك في فعـل أي شـيء، حتـى في العمـل... مـن الصعـب للغايـة أن يكـون لديـك أشـياء قانونيـة.

لا تريـد أن تأخـذ أمـوالاً مـن المسـاعدات، تريـد أن تعمـل، هنـاك الكثير من الأشياء التي يمكنها القيام بها، زوجها حمزة طبيب لكنه كلاجئ لا يوجد شيء مستقر على الإطلاق.

لـم يطـل الوقـت طويـلاً، فقـد حصلـت علـى التأشـيرة إلـى بريطانيـا ولكـن للأسـف دون المولـودة الجديـدة تيمـاء بسـبب عـدم حملهـا لوثائـق سـفر نظاميـة سـوى شـهادة ولادة صـادرة عـن المشـفى التركـي، لا بـأس مـن الذهـاب وتـرك تيمـاء في عهـدة عائلـة صديقـة ريثمـا تتمكـن مـن إتمـام الإجـراءات المناسـبة للحـاق بهـم، وهـذا مـا كان بعـد أشـهر قليلـة وتـم لـم شـمل الأسـرة بعـد أن تقدمـوا بطلـب اللجـوء وحصلـوا عليـه واتخـذوا مـن لنـدن مدينـة جديـدة لهـم.

بـدأت وعـد في إطـلاق مشـروعها الخـاص، ألا وهـو إنتـاج فلـم وثائقـي عـن خمـس سـنوات قضتهـا في سـوريا توثـق بشـكل يومـي كل الأحـداث التي عاشـتها في حلـب النظـام والمحـرر عـبر خمسـمائة

ساعة مسجلة تمكنت من عمل منها تقارير خاصة بالقناة الرابعة على مدى أعوام، والآن ترغب في الاستفادة من هذه التسجيلات في إنتاج أول فيلم وثائقي لها وأطلقت عليه اسم ابنتها سما، استعانت بالمخرج البريطاني إدوار واتس.

هذا الفيلم الذي وثق حياتها وحياة زوجها وابنتها سما، لم تكن ترغب أن تكون هي محور القصة، بل أرادت أن يكون الفيلم أكثر عن المدينة، أن يكون فيلم وثائقي عن اللحظات الدنيوية والمدمرة للحرب في سوريا، حيث يجمع بين رواية شاهد مباشرة عن الفظائع المروعة في حلب مع نظرة إنسانية حميمة على الوجود اليومي لعائلتها على خلفية الصراع في سوريا.

هو الفيلم الذي شعرت فيه أنه أخذ المشاهد خلال خمس سنوات من حياة أسرتها وسيخلق صورة قوية لتدمير كل شيء في سورية الثقافة والإنسان والحجر، فيلمها حميمي بشكل مذهل، حيث يجمع لقطات وعد مع روايتها الصريحة للصراع ومخاوفها من تأثير ذلك على عائلتها، بدأته في شكل الانتفاضة السلمية في حلب وعملها في المجال الإعلامي ولقائها لحمزة وانتقالها إلى حلب المحررة وزواجها منه وإنجابها لطفلتها سما ومكوثها تحت الحصار حتى خروجها وعائلتها إلى تركيا نهاية ٢٠١٦.

كان هدف وعد أن يتمكن الناس من مشاهدة الفيلم في منازلهم، ويتساءلون، «ماذا لو حدث هذا معي؟ إلى المكان الذي أحبه؟ تأمل ألا يكون الفيلم مجرد فيلم يمكن للناس مشاهدته، ولكنه أيضًا أداة للتغيير يمكن أن يدفع الناس لفعل شيء ما، لن يكون مجرد شيء يشاهده الناس وينساه. الفيلم يضفي طابعًا إنسانيًا على تجربة الصراع السوري المستمر بطريقة يمكن للجميع أن تتعامل معها. إنها تقدم نظرة نادرة على ما يعنيه أن تكون أم تعيش في منطقة نزاع.

تشعر وعد أن الناس يعرفون القليل جدًا من الأشياء عما حدث معها، إنها خمس سنوات لديها خمسمائة ساعة من اللقطات والفيلم أصبح ٩٥ دقيقة فقط. لذلك قد يشعر الناس أنهم يعرفوننا جيدًا، ولكن هذا مجرد أشياء عامة يمكن لأي شخص معرفتها عن حياتنا كأشخاص عاشوا في هذا الموقف.

شعرت وعد أن هناك خوفًا في العالم كله من اللاجئين، يحارب الفيلم هذا بطريقة بسيطة للغاية، حيث تشعر أنك تعرف هؤلاء الأشخاص، وتهتم بهم، أنت بحاجة إلى أن يكونوا جزءًا من حياتك، أو يجب أن تكون جزءًا من حياتهم، وكان صنع الفيلم

والترويج له جيدًا حيث تشعر أنك لست منفصلاً عما يحدث، أنت ما زلت تقاتل وتفعل شيئًا حتى لو كنت خارج سورية، الفيلم فرصة للعودة إلى الأخبار عندما يشعر الجميع أن العالم يتجاهل ما يحدث، هذه قصتنا، ورؤية الناس ما زالوا مهتمين ومشاركين، إنه شعور رائع، مع كل ما يحدث في سورية.

عُرض الفيلم على وسع العالم وفي عدة بلدان وحصد الكثير الكثير من الجوائز، رد الفعل كان بالإجماع وساحقًا، الجماهير في كل بلد عُرض فيه الفيلم يقفون ويصفقون (في مهرجان كان بفرنسا، صفق الحاضرون لمدة ست دقائق).

فاز بجائزة العين الذهبيّة كأفضل فيلمًا وثائقيًا في مهرجان كان السينمائي لعام ٢٠١٩ ، خلال حفل توزيع جوائز الأكاديمية البريطانية السينمائية رقم ٧٣، أصبح فيلم من أجل سما الفيلم الوثائقي الأكثر ترشيحًا في تاريخ جوائز الأكاديمية البريطانية السينمائية بأربعة ترشيحات كما فاز بجائزة أفضل فيلم وثائقي، بما في ذلك جائزة إيمي الدولية لعام ٢٠١٦ لتغطية الأخبار العاجلة، وجائزة لجنة التحكيم الكبرى لأفضل فيلمًا وثائقيًا في مهرجان SXSW السينمائي لعام ٢٠١٩، وجائزة لجنة التحكيم

الخاصة، وأفضل فيلماً وثائقياً في مهرجان بافت وترشيح لأفضل فيلماً وثائقياً في أكاديمية ٢٠٢٠. أيضاً جائزة المؤسسة الدولية للتنمية للأفلام الوثائقية، وحصلت وعد على صفة أكثر ١٠٠ امرأة أكثر نفوذاً وتأثيراً لعام ٢٠٢٠، حصلت وعد أيضًا على العديد من الجوائز التقديرية لعملها كناشطة وصانعة أفلام.

تم ترشيح الفيلم الوثائقي الطويل الملحمي الذي أخرجه المخرج وعد الخطيب وإدوارد واتس لجائزة الأوسكار في فئة الأفلام الوثائقية، تحضر وعد وحمزة وسما حفل الأوسكار في زي غير تقليدي كتبت عليه

(تجرأنا على الحلم ولم نندم على الكرامة).

تقول وعد نحن سعداء للغاية ويشرفنا أن يتم ترشيحنا لجائزة الأوسكار، إنها لحظة لم نتخيلها أبدًا في رحلة امتدت لتسع سنوات، من الموت القريب إلى الحياة الجديدة، نأمل أن يشجع الترشيح أكبر عدد ممكن من الناس على الذهاب لمشاهدة الفيلم والتعرف على القصة الحقيقية للصراع السوري. ونطلب منهم أن يتذكروا أن ما يرونه في الفيلم لا يزال يحدث اليوم في إدلب، الجزء الأخير من سوريا الخارج عن سيطرة دكتاتورية الأسد، حيث يتم

قصف المستشفيات والمدارس والأطفال من قبل النظام وحلفائه الروس كل يوم.

أصبح فيلم من أجل سما أحد أكثر الأفلام الوثائقية شهرة في العالم، وقد تم تكريمه بأكثر من خمسين جائزة مرموقة على امتداد العالم.

تتابع وعد نشاطها الدولي لمناصرة الثورة السورية، وتخصص وقتًا لحملتها التي تسعى إلى إنهاء استهداف مرافق الرعاية الصحية في سورية، وها هي تخاطب قمة جنيف السنوية الثالثة عشرة لحقوق الإنسان والديمقراطية ممثلة عن بلدها، وتعمل على تجميع الأموال لدعم العاملين في المجال الإنساني في سورية، وترغب بأن تبقي الصراع السوري المستمر في أعين الجمهور.

لا زالت وعد تقيم في بريطانيا وحصلت على منحة دراسية لدرجة الماجستير في الاتصال والتطوير الإعلامي وتقول من المهم جدًا بالنسبة لنا التفكير في كيفية تطوير الإعلام والصحافة في أماكن مثل سورية، عام ٢٠٢١ تواصل وعد العمل مع القناة الرابعة الإخبارية، وهي مرشدة لشبكة ماري كولفين للصحفيين والمركز الدولي للصحفيين، يعمل حمزة في شركة تقدم خدمات مصرفية في مناطق الصراع، ويحصل لاحقًا على درجة الماجستير في الصحة العامة.

في تصريح لها لإحدى وسائل الإعلام تقول وعد بالنسبة لي ستكون حلب وسورية دائمًا موطني الأول، لكني أشعر حقًا وكأنني هنا في إنجلترا لدي وطن ثان.

شيماء

أمل تضع حجاباً وتخرج متخفية من منزل ذويها، تتوجه من حي الموكامبو إلى باب الحديد، حيث الاتفاق مع أصدقاء لها ومجموعة من شباب وصبايا إحدى التنسيقيات أن تنطلق مظاهرة من هذا الحي في ٢١ من شهر نيسان وكان عمر الثورة شهر فقط، استقلت الميكرو حتى وصلت هدفها، رأت مجموعة من معارفها يتخذون من إحدى الزوايا نقطة انطلاق لهم فانضمت إليهم بانتظار إشارة البدء، تعود بها الذاكرة إلى طفولتها وبداية وعيها على أوضاع بلدها، وكيف كان أي حديث عن الأوضاع السياسية يلقى القمع من والدها، يقول لها (الحيطان لها آذان) ويكفي أننا فقدنا ابن أخي في الثمانينيات ولم نعد نعرف عنه شيئاً وهو لا ذنب له إلا أنه كان يصلي جماعة في المسجد القريب من بيته، تم القبض عليه مع زملائه واقتيد للأمن العسكري، ومع كل

المحاولات للتوسط للإفراج عنه قد باءت بالفشل، وآخر معلومة لديهم هي ترحيله إلى تدمر في شهر نيسان ١٩٨٠ ومن ذلك التاريخ لا يعرفون مصيره، عاشت أمه على أمل لقائه في يوم من الأيام حتى وفاتها منذ أعوام قريبة، أمل لا تعرف عن ابن عمها سوى صورة قديمة وهو يرتدي بدلة الفتوة في مدرسته الثانوية، وبقيت هذه الصورة عالقة في ذاكرتها حتى انطلاق الثورة، شعرت بداخلها أنها لن تكون سلبية في موقفها مما يحدث، وإذا كان ابن عمها ذهب ولم يعد وهو الذي لم يرتكب أي جرم أو ساهم في أي حراك في أيامه، فهي لن تكون كذلك ويجب أن يكون موقفها واضح وعمل مجدي ومساهمة فعالة مع ثورة الكرامة.

تكبير... الله أكبر، تكبير... الله أكبر، قطع هذا الصوت تفكيرها وعادت لواقعها، وهي الآن في مركز الحراك الثوري ولا تراجع أبداً، ما عادت به إلى ذاكرتها كان محفزاً لها ودافع لعدم التراجع، وها هي المظاهرة قد انطلقت وتجد نفسها ومجموعتها في ركبها، ابتدأ من دوار باب الحديد باتجاه دوار أغيور، تردد شعارات بالروح بالدم نفديك يا درعا، بالروح بالدم نفديك يا بانياس، واحد واحد واحد الشعب السوري واحد، سلمية سلمية، حرية حرية، كانت بجانب بعض الشابات وهن يخفين وجوهن بالنقاب،

معظمهن لسنَ محجبات، لكن الظروف والحس الأمني جعلهن يلجأن لذلك، كان التنسيق عالياً جداً في هذه المظاهرة مما أدى لنجاحها والحشد لها بأعداد كبيرة، وكان البعض يصور تفاصيلها وتم النقل المباشر على القنوات الفضائية، كانت مشاركة الشابات لافتاً، وكان من ضمن المتظاهرين المقُعد (أحمد ياسين حلب) على كرسيه المتحرك، حتى الأطفال كان لهم دورهم أيضاً، كانت هذه المظاهرة دليلاً على أن حلب كانت في قلب الحدث، ولم تكن بعيدة كما حاول النظام أن يروج لها.

عند دوار أغيور كان الشبيحة والأمن في انتظارهم، هوجمت المظاهرة وتم اعتقال أكثر من عشرين ناشطاً بما فيهن بعض الشابات وعلى رأسهم أمل، اقتيدوا إلى الأمن الجنائي وادخلوا إلى إحدى الغرف للبدء في أخذ بياناتهم كان الأمر على أمل صعب جداً، سوف يعلم والدها بما قامت به، وهو الذي كان يمنعها حتى في التفكير بأوضاع بلدها خوفاً عليها وعلى إخوتها والأسرة كلها، لكن لا بد من إخباره، كان سعيد يقف بجوارها ولاحظ اضطرابها وخوفها، بادرها إلى السؤال إن كان أهلها على علم بمشاركتها، أجابت بالنفي، قال لا بد من إبلاغهم وخاصة أهل الفتيات المعتقلات معنا الآن، شعرت بنوع من الارتياح لوجود هذا

الشاب بجانبها يساندها ويزيح خوفها وقلقها، تم ما كانت تخشاه وأبلغ والدها للحضور لمقر الأمن الجنائي، لا بد من قضاء ليلتهم هذه وهو يوم الجمعة لحين عرضهم على القضاء في اليوم التالي، وصل والد أمل لمقر اعتقالها، سُمح له بالانفراد بها، وأول ما وقعت عيناه عليها فتح لها زراعيه وارتمت في حضنه وهي تبكي، لم تتوقع منه هذا الموقف بل توقعت عكسه، وظنت لا بد وتنال جزاء فعلتها، وهذا ما زاد من بكائها وهو يرتب على كتفها ويقول لها لا تخافي أنا بجانبك، حتى استعادت رباطة جأشها فقبلت يديه، وقالت: له ادع لي يا أبي، قال لها الله يرضى عليك يا أمل.

عادت إلى غرفة احتجازها وهي غير الفتاة التي خرجت قبل دقائق، هذا الدعم النفسي الذي تلقته من والدها أعاد لها شجاعتها وقوتها، ونقلت هذا الشعور إلى باقي زميلاتها بالغرفة، وشعرن أن ما قمن به هو مدعاة للفخر والعزة، وسيكون حالهن أفضل بعد الخروج من هذه المحنة، صحيح كان ضمن حسابهن أمر الاعتقال، لكن الخيال شيء والواقع شيء آخر.

في صباح اليوم التالي نقلوا جميعًا إلى قصر العدل، ومجرد وصولهم لقاضي التحقيق، كان والدها وبصحبته أحد المحامين

المتطوعين للدفاع عنها أمام القضاء، قال لها والدها لا تقلقي يا أمل ستخرجين اليوم إن شاء الله، وهذا ما حدث فعلاً بعد عرض كل الموقوفين على القضاة وتم الإفراج عنهم جميعاً.

طوال الطريق لم يتحدث والدها بأي شيء وانتظر وصولهم البيت، كانت والدتها بانتظارها على سلم العمارة ومجرد دخول أمل ارتمت على قدمي أمها تقبلها، والتف إخوتها حولها، هذه أول مرة وهي ابنة العشرين عاماً تنام خارج بيتها، دخلوا المنزل وأغلقوا بابهم، دخلت غرفتها لتستريح، لحق والدها بها وأغلق الباب خلفه وجلس، بقي صامتاً لعدة دقائق كانت خلالها أمل تستجمع قواها وتنتظر ما سيقول والدها لها ما كان سيقوله بين جدران الأمن الجنائي، جلست على الأرض وأمسكت بركبتي أباها وقالت له، سامحني يا بابا أرجوك سامحني، أعرف ما قمت به هو عكس رغبتك وإرادتك، لكن صدقني شيئاً ما بداخلي جعلني أتخذ قراري هذا، ولا أريد أن أكون مثل ابن عمي الذي ذهب ضحية لذنب لم يقترفه، وقررت أن آخذ بثأره، ووجدت ما قمت به هو السبيل الوحيد لذلك، كانت مطأطأة الرأس ودموعها تسبق كلماتها، أمسك أبوها بوجهها ورفعه حتى التقت عينيهما، فمسح دموعها، وقال لها أرجوك أنت يا أمل أن تسامحيني، أنا

مـن زرعـت الخـوف في قلوبكـم كـي تجتنبـوا أي عمـل قـد يـؤدي بكـم إلـى مـا آل إليـه ابـن عمـك، لكـن لـم أفلـح بـل كنـتِ أنـت أكثـر شـجاعة منـي، وكنـتِ أكثـر وعيـاً منـي، وعرفـتِ أن الإنسـان موقـف، والموقـف كلمـة، والكلمـة مبـدأ، والمبـدأ لا يحيـد عنـه الإنسـان الحـر، وأنـت إنسـانة حـرة، وأتعلـم منـكِ الآن الشـجاعة والبطولـة، لكـن خوفي عليـك أكبـر مـن أن أشـجعك، ولا أريـد أن أكـون جبانـاً أمامـك، قولـي لـي هـل تفهميـن مشـاعري المتناقضـة في هـذه اللحظـة؟ قالـت أمـل: نعـم يـا أبـي، أعـرف هـذا الصـراع الـذي بداخلـك، بيـن خوفـك علـى أبنائـك ورغبتـك بعـدم مصـادرة قرارهـم وتظهـر أمامهـم بالضعـف والخنـوع، أنـت لسـت ضعيفـاً يـا أبـي، أنـت قـوي مثلـي، بـل أكثـر، لـم أفسـر خوفـك علينـا طـوال عمرنـا أنـه ضعـف أو جُبـن، وقوفـك بجانبـي عنـد اعتقالـي قـد أعـاد لـي الثقـة بنفسـي وصحـة مـا قمـت بـه، وهـذا مـا جعلنـي أثبـت أكثـر وأقـوى أكثـر وهـذا يكفينـي وهـو الدليـل علـى أنـك لسـت جبانـاً ولسـت خانعـاً.

وقـف الأب ومسـح بيديـه علـى شـعر أمـل وقـال لهـا الله يحميـك يـا ابنتـي، وإن كان لا بـد مـا ليـس منـه بـد، ليكـن عملـك في إطـار إحـدى الجمعيـات الخيريـة، وأنـا سأسـعى لـك الانتسـاب إلـى إحداهـا وقـد يكـون ذلـك نوعـاً مـن الحمايـة لـك بعـد الله.

فعلاً خلال أيام انتسبت أمل إلى إحدى الجمعيات الخيرية التي بدأت نشاطها مبكراً في تأمين المساعدات الغذائية لمناطق بدأت تعاني من الحصار وأولها درعا، وكذلك أصدقاؤها وصديقاتها فعلوا الشيء نفسه، حتى سعيد ذلك الشاب الذي أوقف معها في الأمن الجنائي وساعدها في التواصل مع والدها كان من ضمن هذه المجموعة، ظاهر عملهم هو الدعم اللوجستي وجمع التبرعات العينية والنقدية وشراء المواد الغذائية وحليب الأطفال ومن ثم إرسالها لدرعا، كان دخول هذه المساعدات ليس بالأمر السهل، فالحصار خانقاً والنظام يمعن فيه لكسر إرادة أهل حوران، لكن أهل درعا أدرى بشعابها، كانت تصل هذه المساعدات إلى إحدى التنسيقيات وتتولى إدخالها بمعرفتها، ولم يكن بالأمر السهل أبداً، فقد شاهدت أمل ورفاقها بعض الصور لمجموعة من الشباب الثوري وهم يحملون الغذاء والدواء وتم ضبطهم واعتقالهم من قبل عناصر الجيش وتم إعدامهم ميدانياً وعُرض الفيديو على وسائل التواصل الاجتماعي عمداً لإرهاب الناس ومنع استمرار تدفق المساعدات للمحاصرين.

لم تكتفِ أمل بهذا النشاط، لكنها شكلت مع أصدقائها تنسيقية تعنى بترتيب المظاهرات القادمة، وأطلقوا على أنفسهم أسماء

حركية يتواصلون بها، اختارت اسم شيماء، وشكلوا مجموعة على وسائل التواصل الاجتماعي باسم أبناء الشهباء، تم ربط هذه التنسيقية مع باقي التنسيقيات المشابهة، وبذلك أصبح تواصل الثوار أشبه بشبكة العنكبوت، التواصل بينهم سريع جداً، لكن يحمل مخاطر كبيرة، ففي حال انكشاف شخص ما في تنسيقية معينة كان من السهل تتبع باقي أفرادها وسقوطهم في فخ الاعتقال واحداً تلو الآخر، لكن في هذه الفترة والحماسة الثورية وتسارع الأحداث بشكل مطرد منعهم من آخذ الحيطة والحذر الكافيين.

كان التنسيق يجري لإطلاق المظاهرات بحلب على قدم وساق، من مظاهرات شهر رمضان وبركان حلب، إلى المظاهرات الطيارة في الأحياء المختلفة، إلى التنسيق الإعلامي ونشر كل الأحداث على وسائل التواصل الاجتماعي ومنها إلى القنوات الفضائية العالمية التي بدأت تعتمد على هؤلاء الناشطين في نقل المظاهرات من داخل سوريا ساعة بساعة، كانت أمل دينامو مجموعتها ومحور لعدة تنسيقيات في ترتيب كل ما يحتاجه الحراك الثوري، بهذا الاندفاع جانبت فيه الحذر المطلوب، مما عرضها للوقوع في قبضة الأمن العسكري مع مجموعة من الأصدقاء، كان نشاطهم الظاهري هو الإغاثة في إطار الجمعية الخيرية المنتسبون

لها، أما نشاطهم الآخر لم يكن قد اكُتشف بعد، اقتيدوا إلى الأمن العسكري وهم متلبسون في ترتيب شحنة من المساعدات من ألبسة وأغذية حيث داهمت عناصر الأمن المنزل الذي حولوه إلى مستودع يتم جمع المساعدات فيه ومن ثم العمل على شحنها إلى المحافظات الأخرى، نتيجة التفتيش لم يلحظ عناصر الأمن أي عمل خارج عن إطار المساعدات الإنسانية، وأصلاً هو عمل مسموح ومصرح به للجمعيات، لذلك عندما بدأ التحقيق معهم، كانوا يكررون نفس المعلومة ونفس التبريرات وخاصة مع غياب أي دليل يدينهم أثناء مداهمة الشقة، لم يطل الأمر بهم في الفرع الأمني وتم الإفراج عنهم في نفس الليلة.

عندما وصلت بيتها كان سعيد يقف على أول الرصيف ينتظرها، قالت له ما الأمر يا بكر (اسمه الحركي) فأجابها أريد الاطمئنان عليك بعد ما وصلني الخبر، ومن أخبرك؟ قال سعيد: إنه والدك، تواصل معي وطلب مني المساعدة، وكيف حصل والدي على رقمك؟ أجاب سعيد: أظنه أحتفظ به عندما تواصلت معه يوم اعتقالنا بالأمن الجنائي، أمل: إذاً تفضل معي للبيت كي لا نلفت الانتباه ونحن نتحدث بالشارع في مثل هذا الوقت، لكن كيف عرفت أنني عائدة الليلة، قال لها دعينا نكمل الحديث بالبيت.

وصلت منزلها وكانت أسرتها بالانتظار على أحر من الجمر، استقبل الأب سعيد وشكره على صنيعه، قالت أمل أكمل حديثك يا سعيد، فقال : لي صديق له أخ مساعد في الأمن العسكري فطلبت منه المساعدة، تردد في بداية الأمر ثم وعدهم خيراً، بعد ساعة أخبرني أنكم في التحقيق الآن ولا يشعر بخطر كبير على المجموعة من أسلوب التحقيق وخاصة أنكم تنتسبون لجمعية خيرية، ابتسمت أمل ونظرت إلى والدها فهو صاحب الفكرة فرد بابتسامة هي أقرب للشكر والامتنان لله عز وجل، تابع سعيد حديثه وقال إن صديقه اتصل منذ ساعة وأخبره بأنكم على طريق الافراج وستصلون بيوتكم الليلة، فعلاً نزلت من منزلي وانتظرت وصولك، شكرت أمل سعيد على شهامته وسألته هل فعلت ذلك مع باقي المجموعة، قال ليس جميعهم، فقط من أعرف طريقة التواصل بأهلهم، هنا أرادت أمل أن تعرف أكثر من سعيد، لكن لمَ انتظرتني أنا دونًا عن البقية، كان سؤال محرج له لكن تخلص من الفخ وقال لأن والدك الوحيد الذي تواصل معي وطلب مساعدته لذلك وجدت من الواجب الحضور، شعر والدها بنوع من الانسجام بينهما وخاصة من أسلوب أسئلتها ومن طريقة رده، قطع حديثهما بأن قال لسعيد (بس ما تكون يا سعيد من الأمن)

أحمر وجهه وقال معاذ الله يا عمي، لكن أمل وأسرتها أخذوا الأمر بالضحك وقالت لسعيد (البابا عم يمزح معك) وأكد الأب له قصده ليزيل الحرج والارتباك عنه، وطلب من الأم تجهيز العشاء فسعيد اليوم ضيفنا.

هذه المرة الثانية التي تنجوا أمل من الاعتقال الطويل، فكان حريـاً بها الاحتياط أكثر في تحركاتها ونشاطها، وكما يقول المثل (ليس كل مرة تسلم الجرة) تابعت أمل مسيرتها الاعتيادية واستمرت في نشاطها الثوري، بل وسعت دائرة الاتصالات، ودخلت في تنسيق أكبر مع مجموعات جديدة وما أكثرها في ظل امتداد الحراك الثوري في نطاق سوريا عامة وفي حلب خاصة، الآن مع مجموعات ريف حلب حيث اندلعت المظاهرات في معظم بلداتها وأصبح التواصل معهم أمراً ضرورياً بل حتمياً، وتبادل المعلومات والخبرات صار مهماً جداً خاصة لتفادي الاختراقات والملاحقات، كانت يومياً تقدم تقريرها لوالدها كما كان اتفاقهم، وكان يعطيها النصائح والتوجيهات لما يساعدها في عدم الوقوع في فخ أجهزة الأمن مرة أخرى، وطبعاً سنجد الخوف على ابنته هو الدافع الرئيسي والمستمر.

أمل تستعين الآن بموبايل ذي رقم خاص أحضره لها سعيد بما يسمى (رقم محروق) يخفف - ولا ينهي - الملاحقة المستمرة للاتصالات الخلوية، ورتب لها طريقة حفظ البيانات والأرقام على كرت الشريحة بعيداً عن ذاكرة الهاتف كي يسهل التخلص من المعلومات وقاعدة البيانات الخطرة بمجرد سحب هذا الكرت والتخلص منه.

ازدادت العلاقة بين سعيد وأمل لكن في إطار العمل الثوري الميداني ولم يتجاوز الأمر أكثر من ذلك على الأقل من طرفها، لكن سعيد بدأت مشاعره وأحاسيسه تزداد تجاهها، رغم أنه حاول إخفاءه لكن الأمر أصبح ظاهر للعيان، هذا الوضع لم يؤثر على عزيمتهم وحماسهم للعمل الثوري، استمروا على نفس المنوال مع فريقهم بروح عالية من التحدي والشجاعة.

انتقلت المظاهرات الأسبوعية إلى المنطقة الشرقية من حلب، أصبحت النشاطات اليومية تصب لصالح هذه المنطقة لتحضير كل ما يلزم في يوم الجمعة من كل أسبوع، من تحديد الشعارات وكتابة اليافطات وتجهيز الأعلام وترتيب الحقائب الإسعافية وتحضير الكاميرات للتغطية الإعلامية، هذا العمل الجبار لا يتم

دون التنسيق الضروري مع كافة التنسيقيات العاملة على الأرض، لذلك كان دور أمل في البداية بهذا التشبيك بين المجموعات له الأثر الكبير في نجاح المظاهرات التي بدأت تتزايد بشكل مطرد في أحياء صلاح الدين وسيف الدولة والسكري والشعار ومعظم الأحياء الشرقية.

بالمقابل لم تكن أجهزة الأمن غافلة عما يحدث، بوجود ضابط مختص في البرمجيات ويحمل درجة الدكتوراه في علوم الحاسوب في فرع الأمن العسكري، ووجود تجهيزات كاملة وعناصر مدربة في هذا الفرع، كان انكشاف شبكات التواصل بين التنسيقيات هو مجرد وقت لا أكثر، وفعلاً تم إلقاء القبض على الكثير من الشباب الثائر من خلال اختراق حواسبهم وموبايلاتهم من قبل هذا القسم، وكان التعامل مع هؤلاء الشباب بنوع من الليونة والحذر كي لا يثير غضب الشارع الحلبي الذي يعمل النظام ألف حساب لعدم انخراط هذه المدينة بشكل قوي بالثورة التي بدأت تنتشر على كل الأرض السورية، كان هؤلاء المعتقلون يحتجزون لمدد قليلة وبمعاملة حذرة وترتيب ملفات لهم والإفراج عنهم مع استمرار تتبعهم والتجسس عليهم، هذا ما دعا بقية الأفرع الأمنية لتبادل المعلومات والأسماء فيما بينها لإحكام القبضة الأمنية على

المدينة التي بدأت تنفك عن الحصار المضروب عليها من قبل عناصر الأمن والشبيحة، وأخذت رقعة الاحتجاجات والمظاهرات في التوسع والانتشار.

أمل اليوم في قمة نشاطها، بل هي على الأرض بين المتظاهرين بحي صلاح الدين، وقد تجاوزت كل حدود الحذر والحيطة، موبايلها مفتوح على مدار اليوم، تنسق بين الجميع، وتوجههم وتتابع العناصر في تنفيذ مهامهم، وتستمر إلى وقت متأخر من النهار قبل أن تعود لبيتها قبل المغيب، وهي كالعادة متنكرة ومنقبة كي تكون بعيدة عن أعين الكاميرات المندسة بين صفوف المتظاهرين، واستطاعت نوعاً ما من أن تبقى مجهولة للأمن.

في أحد أيام الأسبوع أثناء عودتها للمنزل، لم تلحظ أمل وجود سيارة أمن تجوب شارع بيتها، خاصة أنها تجتهد في التخفي والمناورة، فهي تتخلص من ملابس التخفي والتمويه، وتعود إلى بيتها في لباسها المعتاد، لذلك تعود وهي شبه آمنة بأنها بعيدة عن أعين الأمن.

ما أن دخلت باب العمارة حتى فاجأتها دورية الأمن الجوي الكامنة داخل البناء، وبلحظات كانت محمولة إلى سيارة الأمن

معصوبة العينين، أحست بوجود آخرين معها، فأخذت بالصراخ وترديد العبارات التي تنفي عن نفسها أي شيء يسبب في اعتقالها، هذا شجع من كان معتقل بأن يفعل مثلها فسمعت أصوات زميلات لها وتأكدت أن مجموعتها أو جزأ من قد انكشف أمره، هنا وبسرعة خاطفة وهاتفها المحمول في جيب معطفها استطاعت سحب الشريحة منه وأخفته بين ملابسها قبل الاستيلاء عليه.

وصلوا جميعاً لمقر المخابرات الجوية، واقتدن إلى غرفة الاستقبال وتم سحب موبايلاتهم وحقائبهم وكل ممتلكاتهم الشخصية، وهي تردد نفس الأسطوانة بصوت عال كي تربك عناصر الأمن واستطاعت إخفاء الشريحة عن أعينهم، أدخلت إلى غرفة منفردة واغلق الباب لكنها بدأت بالصراخ والعويل بشكل هستيري، وأنها بحاجة للخروج إلى الحمام وبدأت في الضرب على الباب الحديدي، وصل أحد العناصر وفتح الباب ووجه لها لكمة على وجهها فسال الدم من فمها وأنفها مما جعلها ترفع من وتيرة صوتها أكثر فأكثر وتقول لقد سببتم لي نزيف حاد، أريد الدخول إلى الحمام، فعلاً اقتادها العنصر إلى دورة المياه وأعطاها مهلة دقيقة واحدة، كان هذا يكفيها، أخرجت الشريحة وكسرتها إلى قطع عديدة ورمتها في مجرى المياه وفتحت صنبور الماء

وبذلك تخلصت من الدليل الوحيد الذي كان معها والذي سيتفقد وجوده المحقق عاجلاً أم آجلاً.

أعيدت إلى غرفتها وهدأت قليلاً فقد استطاعت في هذا الوضع أن تمنع أي دليل قد يدينها، بدأت بترتيب أفكارها لتعرف كيف ستجيب المحقق الذي سيطلبها بعد اكتشاف أمر الشريحة، وصل النبأ لوالد أمل وبدأت اتصالاته مع رئيس الجمعية الخيرية للتدخل ومنع أي أذى لها خاصة عملها ضمن نطاق القانون والمسموح به، طبعاً رئيس الجمعية ليس مطلعاً عن نشاط أفراد الجمعية الموازي لنشاطهم الأساسي، فبدأ اتصالاته مع أحد الضباط المسؤولين عن ملف هذه الجمعيات وتحت نظره ومتابعته وطلب منه التدخل لأن في الأمر سوء تقدير.

بعد ساعات قليلة يُفتح باب الزنزانة ويضع عنصر الأمن العصابة على عيني أمل واقتادها إلى غرفة التحقيق، كان مسؤول ملف الجمعيات حاضراً وكان المحقق يتصفح ملفها، استطاعت من تحت العصابة شاهدت مكان تواجدها وأرجل المحققين، سمعت من يسألها أنت شيماء؟ لكنها لا تجيب، يكرر السؤال أنت شيماء؟ فوكزها عنصر الأمن كي تجيب فتقول له السؤال

لي؟ قال المحقق نعم، قالت أنا اسمي أمل، فقال لها بل أنت شيماء منسقة بين مجموعة من المسلحين الذين يتصدون للجيش العربي السوري، من لكنته عرفت أن المحقق هذا من الطائفة المسيحية من لهجته الحلبية يعرفها أهل حلب فيما بينهم، أنكرت التهمة وقالت إن نشاطها يقتصر على العمل الخيري، قام عنصر الأمن بصفعها فسقطت أرضًا، طلب المحقق منه الخروج من الغرفة، وبقيت أمل مع المحققين فقط، أعاد عليها التهم وأصرت على الإنكار وأن لا بد أحدهم قد وشى بها عن عمد، قال لها لم نجد شريحة الاتصالات في هاتفك أين هي؟ أنكرت ذلك وأصرت أنهم أخذوا منها الموبايل وكانت فيه، طلب المحقق من العنصر تفتيشها وتفتيش غرفتها للبحث عن الشريحة، ولإعادتها للتحقيق بعد ساعة، شعرت وكأن هناك من تدخل من أجلها وأن ما يجري معها يعتبر خدمة الخمسة نجوم التي تتحقق لبعض المعتقلين، فصدق حدسها وكان وجود الضابط المسؤول عن ملف الجمعيات هو خير دليل.

أعيدت بعد ساعة إلى غرفة التحقيق دون الشريحة المنتظرة، فكرر المحقق سؤاله عن نشاطها وهي ثابتة عند أقوالها وليس فيه ما يخل بالأمن وضمن إطار عمل جمعيتهم، لكن النشاط كبر

وتشعب بسبب الظروف التي تمر بها مناطق الاضطراب وحاجة السكان لمد يد العون لهم، طلب من العنصر رفع العصابة عن عينيها ففعل، احتاجت بعض الوقت لتتعرف على المحقق، قال لها هذه المرة لم نستطع إثبات عليك ما وردنا من تقارير تدينك وتثبت عليك التعاون من الإرهابيين المسلحين، الآن ليس بوسعي إلا الإفراج عنكِ وهذا لم يحدث إلا في حالات محدودة جداً، وأقل معتقل يمكث شهراً أو شهرين حتى يُستكمل التحقيق، لا بد من أن الله وأهلك راضيان عنك، الآن ستخرجين ولكن لا أريد أن أراكِ مرة أخرى هنا، هزت برأسها، أعاد قوله: يا أمل لا أريد رؤيتك هنا مرة أخرى أفهمت؟ هنا وقفت عن الرد لبرهة، لكنها تداركت الموقف وقالت إن شاء الله.

خرجت قبل غروب الشمس بقليل أنزلتها سيارة الأمن تحت جسر شارع النيل، أسرعت في تجاوز الشارع وأشارت لأول سيارة أجرة واتجهت فوراً لمنزلها.

كان الأب بانتظارها على الشرفة ومعه سعيد، ما أن وصلت حتى استقبلتها أمها بالبكاء والعويل وهي تندب حظها وحظ ابنتها، وتردد أن عناية الله أنقذتها من بين أيادي هؤلاء المجرمين،

أخذت تحلف عليها الأيمانات المغلظة بأن لا تعود إلى ما هي عليه بعد الآن، وكل الحق على والدها الذي شجعها ولم يردعها، لم تنبس ببنت شفه فقد أسقط في يدها هذه المرة وشعرت فعلاً أن العناية الإلهية كانت تحفها في حلها وترحالها، هنا لا بد من قرار سريع من الأب، فطلب منها الجلوس وتحدثه بتفاصيل ما حصل، فروت له كل التفاصيل، مع ملاحظتين هامتين، الأولى هي المعاملة المختلفة التي لاقتها بعكس ما تعرفه عن هذا الفرع المخيف من الأفرع الأمنية، فقال لها الأب أظن ذلك بسبب تدخل الضابط المسؤول عن ملف الجمعيات بعد أن تحدث معه رئيس جمعيتهم، الآن أصبح الأمر مفهوماً لدى أمل، وذكرت الملاحظة الثانية التي وجهها له المحقق المسيحي بأنه لا يريد رؤيتها مرة أخرى بالفرع وقد كررها مرتين مع ذكر اسمها في المرة الثانية، فما تفسير ذلك؟ هنا صمت الجميع لكن سعيد فهم الإشارة فقال: يا أمل يا عمي، هذا المحقق ينبه أمل بأن تسعى للمغادرة وأنه لابد في المرة القادمة أن تقع في الفخ وعندئذ لا مهرب ولا واسطة تنفعها، قال الأب نعم قد تكون الإشارة كذلك، ما العمل؟ ما العمل إذاً.

أخذ الأب بالتفكير والجميع صامتين، وهو يدير الأمر من كل جوانبه، والوقت يمضي ولا مجال للتردد أبداً، أدار الأمر في ذهنه

عدة مرات وهو يحاول أن يجد البديل، أخيراً قال لأمل، لا يجب أن تنامي اليوم في حلب، بل في سوريا، صرخت الأم ماذا تقول يا رجل كيف ذلك، لا يمكن أن يحدث هذا، ابنتي كيف لها ذلك، عندئذ قال لها الأب، أتحبين أن تري أمل رهن الاعتقال مجدداً أم تفر من بين أيديهم؟ صمتت الأم وقالت أمل ولكن كيف يا أبي، قال لها سوف تخرجين فوراً إلى باب الهوى، أليس جواز السفر جاهزاً؟ قالت نعم ولكن كيف يا أبي، هنا تصدى سعيد للمهمة وقال أنا أرافقك إلى باب الهوى يا أمل، ما رأيك يا عمي؟ قطبّ الأب جبينه وأخذ يفكر بالأمر، فقال أخيراً: نعم هذا هو الحل الوحيد حالياً، وجه سؤاله لسعيد، هل تستطيع تأمين سيارة ترافقكم إلى الحدود وخلال ساعة، قال سعيد نعم، وقف واتجه إلى باب البيت وقال بعد ساعة سأكون هنا وأنت يا أمل جهزي حقيبتك.

الجميع لا يزالون في حالة دهشة ووجوم من الحل الذي فرضه والد أمل، لكن لم يعد هناك متسع من الوقت، هيا يا أمل استعدي، قالها الأب، دخلت الأم مع ابنتها غرفتها وبدأت بتحضير الحقيبة، أمل تخرج جواز سفرها وكذلك كل ما تحت يديها من أوراق أو وثائق قد تحتاجها في طريقها إلى المجهول،

أختها تدخل المطبخ وتحضر زوادة لأختها ترافقها في رحلتها تلك، بعد ساعة وصل سعيد كما وعد والسيارة في الانتظار، أخذت أمل في توديع أهلها فرداً فرداً في جولة بكاء من الجميع، يرافقها الأب إلى السيارة ويدس في جيبها مبلغاً من المال، يأخذ سعيد الحقيبة من أمل ويضعها في صندوق السيارة تلحقه لوضع الزوادة فتلاحظ وجود حقيبة أخرى، نظرت في عيني سعيد مستفسرة، أزاح نظره عنها وفتح لها الباب الخلفي وجلس هو بجانب السائق، تحركت السيارة وهي تنظر إلى الشرفة التي امتلأت بأفراد أسرتها، ومع ابتعادها تلوّح لأبيها الواقف مكانه مودعة وهو يرقب رحيل ابنته والدموع في عينيه.

طوال الطريق ساد الصمت بين أمل وسعيد والسائق، هي تفكر بالطريق المجهول الذي بدأته لتوها، وما سينتظرها في الأيام القادمة، وسعيد يفكر هل سيكون هناك أي حاجز قد يفتشهم أو يطلب أوراقهم، هل ستكون أسماءهم معممة على المنافذ الحدودية، والسائق يستغرق تفكيره بهؤلاء الركاب الذين يغادرون بلدهم في هذه الأوقات العصيبة.

تصل السيارة إلى النقطة الحدودية، يطلب السائق جواز سفر أمل، تعطيه إياه وتجد سعيد يعطيه جواز سفره أيضاً، تنظر

مندهشة ماذا تفعل يا سعيد، قال لها هل يمكن أن أدعك تغادرين وحدك إلى تركيا؟ يجب الاطمئنان عليكِ، أنا سأرتب لك مكان إقامتك في الريحانية بشكل مؤقت، لا تقلقي يا أمل، كان موقف سعيد صادم بالنسبة لها، موقف لم تتوقعه أبداً، لكنه ليس ببعيد عن سعيد وشهامته ورجولته في أحلك المواقف والظروف، ابتسمت أمل ورد عليها سعيد بابتسامة مماثلة، وقالت له هل والدي على علم بخطوتك هذه؟ قال لها لا سنخبره عندما نصل، عاد السائق بالجوازات، نزل المسافرين وحملا حقائبهما وتوجها إلى نقطة المغادرة، طلب سعيد منها أن يحمل كل منهما جواز سفره بمفرده ويغادران بشكل مستقل كي لا يلفتوا الانتباه، فعلاً تقدمت أمل وأعطت جواز السفر لنقطة المراقبة، نظر إليها عنصر الأمن وقال لها إلى أين مسافرة يا أمل؟ قالت لعند خالتي في أنطاكية، أعطاها جواز السفر وقال لها الله معك.

دخل أمل وسعيد الحدود التركية وخلال دقائق كانوا خارج البوابة، توجه بعض السائقين يعرضون خدماتهم بلغة عربية ركيكة، قال سعيد معنا سيارة، نظرت أمل بوجه سعيد وقالت له: كمان السيارة جاهزة!؟ قال لها أكيد، فعلاً وجدت شاباً وفتاة بانتظارهم بسيارة خاصة، رحبوا بهما، عرفها على أصدقائه، أحمد وزوجته

نهى، قد سبقونا بالرحيل والفرار من قبضة الأمن، وسنبيت في بيتهم الليلة، ركبوا السيارة وبدأت أمل طريقها الجديد بعيداً عن وطنها وأهلها.

وصلوا البيت، وجدت مائدة الطعام جاهزة بانتظارهم، فقد قارب الوقت على منتصف الليل، تناولوا العشاء وقبلها أجروا اتصالاً مع أهلها يخبرونهم بسلامة الوصول، وأن سعيد قد دخل معها تركيا لمزيد من الاطمئنان، شكر الأب سعيد على شهامته وموقفه النبيل، وتواعدوا للاتصال في اليوم التالي.

دخلت نهى وأمل غرفة النوم، وتركوا غرفة الصالون لأحمد وسعيد، وغطوا جميعاً في نوم عميق، في الصباح كان الشباب قد جهزوا مائدة الإفطار كما يجب، وانتظروا الصبايا لتناول الطعام سوية، بعد ذلك طلب سعيد من أمل مرافقته في جولة في الريحانية للتعرف على المدينة، شعرت وكأن سعيد يخطط لأمرٍ ما، وافقت وخرجا سوياً مع طلب أحمد منهما أن لا يبتعدا كثيراً كي لا يتوهوا في مدينتهم الجديدة، سارا في شوارع الريحانية وهو يسألها عن وضعها الجديد، وترد عليه أنها لا زالت في حالة شبه غيبوبة، فخلال ٢٤ ساعة اعتقالاً وتحقيقاً وافراجاً وسفراً ووصولاً إلى تركيا، لا بد وأن الأمر مجرد حلم.

دعاها لأحد المقاهي، جلسا وطلب فنجان قهوة تركية طلبت هي فنجان قهوة إسبريسو، شعرت وكأن سعيد لديه ما يقوله، ها يا سعيد هات ما عندك؟ ارتبك قليلاً ثم بدأ حديثه في سرد ذكرياته معها وأول لقاء في الأمن الجنائي، ثم العمل سوياً بالثورة، وكثرة اللقاءات مع بعضهما البعض، ومساعدتها في إطلاق سراحها من الأمن العسكري، وكيف أحرجته بأسئلتها ذلك اليوم، أكيد يا أمل شعرتي بنوع من الاهتمام نحوك، قالت: نعم ولكن في خضم الأحداث لم يكن لدي متسع من الوقت كي تحتل أي عاطفة مكان في قلبي ينازعني حبي لوطني والثورة، قال سعيد لكن حبك تملك قلبي ووجداني، ولم أكن أتصور يوماً أن لا نكون لبعضنا البعض، فهناك متشابهات بيننا كثيرة وهدف واحد، والآن عزمت أمري ولن أدعك تعيشين بمفردك في تركيا، وسنخبر أهلنا اليوم وأطلب يدك من والدك، وما عليك سوى القبول.

لم يستغرق الأمر كثيراً من تفكيرها، أثناء هذا اليوم كانت أمل تقلب الأمر من كافة جوانبه، وعادت بذاكرتها إلى أول لقاء بينهما، وتتالي الأحداث، فلم تجد ما يعيب سعيد، فهو الرجل ذو الأخلاق العالية والشهامة والكرم والرجولة وأيضا ثوري مثلها، ما أن انقضى اليوم حتى أبلغت سعيد بموافقتها، وما عليه إلا طلب يدها من أهلها.

أجرى سعيد كافة الترتيبات لعمل اتصال مرئي مع أسرته وأسرتها، وعندما تم ذلك تقدم سعيد وطلب يد أمل من والدها، كانت المفاجأة للجميع، حاول الأب أن يفهم الأمر أكثر، هل هناك ترتيب مسبق، هل الأمور تسير بشكل عادي، هل أمل تعرف بتفاصيل ما يحدث، عندما تأكد من سلامة الوضع، وأن فكرة السفر كانت من بنات أفكاره وليس لهما أي يد في هذا القرار فعرف أن القدر قد رتب كل شيء، استفسر من ابنته عن رأيها وموافقتها، لم يجد بد من الموافقة وعلى بركة الله تمت قراءة الفاتحة، واتفقوا جميعاً على تحضير زواجهم في اليوم التالي بعد ترتيب كافة الأمور وكل الاستعدادات.

قام أحمد ونهى بدعوة المزيد من الأصدقاء في الريحانية، وأحضروا المأكولات والضيافات والزينة، وأتفق سعيد مع أحد المحامين لإجراء العقد الشرعي، تم الاتصال ليلتها مع الأهل، تم عقد القران مع خلفية معلقة على الحائط هو علم الثورة السورية، وسارت الأمور على خير ما يحب ويرضى العروسان وأهلهما، استأجر سعيد شقة الزوجية التي انتقلوا إليها ليلة الزفاف، وكان عرس مميز يليق بهما كونهما أبناء هذه الثورة المباركة.

تمضي الأيام، تدخل أمل المشفى لتضع مولودها، وتستقبل الأسرة الجديدة طفلتها الأولى، يحملها سعيد ويدخل بها غرفة أمل ويقول لها ماذا ستسميها يا أمل، قالت وهل هناك اسم غير شيماء.

لمحة عن المؤلف

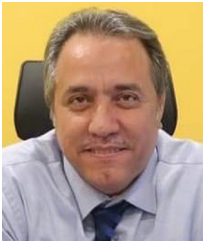

خالد سليم عقيل – مواليد حلب ١٩٥٨ – خريج كلية العلوم.

– نشأ وترعرع في مدينة حلب، أحبها كما أحب كل حلبي مدينته.

– ينتسب إلى عائلة حقوقية، والداه من رجال القانون بحلب.

– عمل في الخليج وسوريا وتركيا مع خبرة أكثر من ٤٠ عاماً في إدارة الشركات.

– له العديد من المؤلفات في السياسة (إرث ثورة) – (برلمان سورية الحر).

– له الكثير من المقالات جمعت في كتاب (قصاصات على الجدار الأزرق).

– له كتاب عن الصوفية (من حلب الى قونية)

– له العديد من المؤلفات الإدارية (اكتشف القائد بداخلك) (إعادة تأهيل الشركات)